الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة العربي التبسي تبسة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

السّلميات الحجاجية في كتاب المواعظ و المجالس

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستير في اللغة و الأدب العربي
تخصص علوم اللسان

إعداد الطالبة
زوهيرة بن عوة

إشراف الدكتورة
ربيعة برباق

أعضاء لجنة المناقشة

عبد الحميد عمروش	أستاذ مساعد ر (أ)	رئيسا
ربيعة برباق	أستاذ محاضر (أ)	مشرفا و مقررا
رزيق بوزغاية	أستاذ محاضر (أ)	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2017/2016

ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

سورة النحل

إهـــــداء

إلى أبي و أمّي

و الأخ الغالـــــــي

إلى الأختين العزيزتين إلى زهرة العمر شهد

إلى حبيب القلب أنس

أهدي هذا العمل

شكر و عرفان

تلوح في سمائنا دوما نجوم براقة لا يخفت بريقها عنا
لحظة واحدة نترقب إضاءتها بقلوب ولهانة فاستحقت
و بكل فخر أن يرفع اسمها في عليائنا
فشكرا لكونك أستاذتي و تشرفت لأنك قبلتي أن تكوني
مشرفة على رسالتي و لأنك كنت سندي
شكرا أستاذتي الغالية الدكتورة ربيعة برباق

مقدمة

ظهرت الدراسات اللغوية منذ ظهور العلوم المعرفية المختلفة المسايرة لتطور الحضارات الإنسانية إلا أن الاهتمام باللغة كان على الدوام يشكل قطب الرحى في مختلف الدراسات العلمية والمعرفية الأمر الذي أدى إلى تفرع الدراسات اللغوية المختلفة من نحو وصرف ودلالة وغيرها، واختلاف مناهجها ومدارسها واتجاهاتها.

ومع نهاية القرن الماضي أصبح الدرس اللساني ثريا جدا، خاصة بظهور الاتجاه التداولي وذلك من خلال ما يقدمه لنا من إجراءات على مستوى الاستعمال اللغوي الطبيعي، وبالأخص في مستوى تحليل الخطاب، وبالتحديد في مستوى الحجاج اللغوي، وهذا الأخير الذي جلب للدرس التداولي اهتماما بالغا، اتضح جليا من خلال العودة القوية للبلاغة تحت تسمية "البلاغة الجديدة" حيث ركزت على جانبين هامين هما: "البيان و الحجاج" كوسيلتين أساستين من وسائل الإقناع.

فالحجاج عنصر ضروري في كل خطاب يهدف إلى التأثير في المتلقي واستمالته، وهذا الأمر ليس متعلقا فقط بالجانب الأدبي، وإنّما نجده في جميع أنواع الخطابات: كالخطاب الديني والخطاب السياسيّ، والخطاب الوعظيّ، هذا الذي ظهر مع الأنبياء والرسل، فكان ارتباطه ارتباطا وثيقا ملازما للدعوة تابعا لها، مصححا لمفاهيم في العقيدة، مرغبا في ثواب طاعة الخالق، ومرهبا من جزاء معصية أوامره، ومن هنا يمكننا أن نعتبر الوعظ خطابا حجاجيا.

وما دمنا نعتبر أن اللغة ليست مجرد أداة للتعبير فقط، وإنّما هي حقيقة حجاجية فهذا يؤكد المنطق الذي بنيت عليه لغة الوعظ من حيث هي لغة وحجة بالغة مستندة على لغة وحجة أبلغ وهي الخطاب القرآني، ومن هنا برزت الرغبة في دراسة الجانب الحجاجي في فن الوعظ.

وقد وقع اختيارنا على مدونة "المواعظ والمجالس" للإمام الواعظ ابن الجوزي، وارتأينا أن نخصص الدراسة في السلميات الحجاجية باعتبارها أهم ركائز النظرية الحجاجية. وتم ضبط العنوان كالآتي: "**السلميات الحجاجية في فن المواعظ (المواعظ والمجالس لابن الجوزي أنموذجا)**".

ولعل من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار البحث في مجال الحجاج.

1-كون نظرية الحجاج في اللغة تقدم تطورا جديدا من حيث طبيعته و مجاله، كما تقدم أفكارا ومقترحات هامة بخصوص عدد كبير من الظواهر اللغوية.

2- تندرج هذه النظرية ضمن تيار حديث في الدراسات اللسانية، لا يعتبر الوظيفة التواصلية الإخبارية الوظيفة الأساسة والوحيدة للغة، بل يسند إليها دورا ثانويا يتمثل في الوظيفة الحجاجية للغة.

هذا عن أسباب اختيار النظرية الحجاجية، أما فيما يتعلق بالسلالم الحجاجية في مدونة المواعظ والمجالس موضوعا للبحث، فإن ذلك يرجع إلى نقص ساحة البحث من مثل هذه المواضيع؛ إذ لم نجد ما يتحدث عن دراسة أسلوب الوعظ عند ابن الجوزي، سواء من الناحية البلاغية أو اللسانية أو الأسلوبية أو التداولية مع العلم أنه يعد من أهم علماء الوعظ.

وقد كان الهدف الأسمى من هذا البحث.

- تأكيد فرضية السلمية الحجاجية للغة الطبيعية ولاسيما لغة الوعظ .
- إبراز أهم الجوانب الحجاجية و سلميتها للغة العربية على مستويات عديدة .
- محاولة اختبار النظرية الحجاجية على مساحة المواعظ سعيا إلى التماس أصول الحجاج وتبين أساليبه اللغوية، وكذا غاياته الفكرية والعقائدية .

فأما الأساليب اللغوية: فلأنّ لغة الوعظ تحمل في مفرداتها وتراكيبها كثيرا من الروابط التي تمنح نظرية الحجاج في فن المواعظ طابعا لغويا خاصا بين الترغيب والترهيب .

أما الغايات الفكرية والعقائدية فلأنّ الحجاج في المواعظ مأخوذ من الحجاج القرآني الذي ينطوي ضمنيا أو صراحة على جملة من المبادئ الحجاجية، تشكل بمجموعها أصول العقيدة الإسلامية، والقضايا التي دعا إليها القرآن الكريم، لتكون قاسما فكريا مشتركا بين النّاس يبصرهم طرق الإصلاح والهداية في منهج حواري خال من العنف والإكراه.

وللوصول إلى نتائج ترضي رغبتنا في البحث كان لزاما وضع إشكالية تكمن في محاولة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات أهمها:

1- كيف يتمظهر الحجاج في فن الوعظ ؟ وماهي أنواعه وخصائصه؟

2- ماهي طبيعة وميزة السلم الحجاجي في المواعظ؟

3- ماهي الأسس والإجراءات التي تضبط السلالم الحجاجية في فن المواعظ؟

4- إذا كان الخطاب الوعظي خطابا حجاجيا فكيف يمكن تحديد معانيه من خلال نظرية السلالم الحجاجية؟

فعلى الرغم من أهمية الموضوع إلا أنه لم يحظ بدراسات معمقة -كما أسلفنا الذكر- بل تكاد تكون منعدمة، فالسلالم الحجاجية في كتاب المواعظ والمجالس لابن الجوزي من الموضوعات الهامة، ذلك أن مخاطبة العقول والقلوب فن لا يجيده إلا من يمتلك أدواته وضوابطه، والذي يدور أساسا حول تقويم أنفس العباد من خلال الوعظ بالإيمان بالله ورسله، وإقامة حدوده وإعلاء شريعته، واتباع منهجه القويم، لذا استدعى فن المواعظ شتى أضرب الحجج والاستدلال التي تهدف إلى الإقناع من خلال الترغيب والترهيب الذي يتوقف أساساً على مقصدية المخاطب ودرجة تأثيره على المتلقي من خلال استراتيجية الإقناع.

وقد صممت لهذا البحث خطة تتكون من :

- مدخل عرفت فيه المدونة وصاحبها: تضمن سيرة ابن الجوزي، وكذا بكتابه المواعظ والمجالس.
- أما الفصل الأول فجاء بعنوان "**الحجاج والمواعظ**"، وقد ضمناه مفاهيم حول الحجاج وأهم الدراسات العربية والغربية التي تناولت هذا الموضوع مع ذكر خصائصه، مثل: الاستمالة العاطفية والتفاعل والتجاوب وخاصية المقاصد والغايات، والتي جاء فيها عرض لأهم أساليب الحجاج في فن المواعظ مثل أسلوب الترغيب باستعمال المواعظ.
- أما الفصل الثاني فقد خصصته **للسّلميات الحجاجية في مواعظ ابن الجوزي**، تناولنا فيه مفهوم فن الوعظ من الجانبين اللغوي والاصطلاحي مع ذكر خصائص هذا الفن عند الامام، ثم عرضنا لمفهوم السلم الحجاجي في التراث العربي من مفسرين وبلاغيين، وأصوليين لنأتي على ابراز مفهوم السلم الحجاجي عند التداوليين من خلال نظرية السلالم الحجاجية .ثم مستويات السلم الحجاجي، سلمية المعجم، سلمية الصرف ثم تطرقنا إلى قوانين السلم الحجاجي، ومدى أهميتها في مدونة المجالس والمواعظ.

لنأتي إلى أهم عنصر في هذه الدراسة وهو آليات السلالم الحجاجية، والذي ضمناه عرضا للروابط الحجاجية، مثل: لكن، حتى، الواو، وذلك لكثرة ورودها في المدونة، والغرض من دراستها هو تبيان بعض الاستعمالات الحجاجية لهذه الروابط، ثم درسنا آلية السمات الدلالية و التكرار في بعض المواعظ . ويهدف هذا الفصل إلى تبيان أهمية آليات السلالم الحجاجية في فن المواعظ.

وختمنا هذا الفصل بالتعرض إلى العلاقات الحجاجية خارج النص الوعظي وداخله باعتبارها عنصرا هاما في دراسة آليات السلالم الحجاجية في المواعظ.

وجاءت خلاصة بحثنا في خاتمة تم تضمينها أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال البحث.

أما في ما يخص المنهج المتبع فقد كان وصفيا، حيث تم وصف المدونة، ثم تحليليها ومناقشتها انطلاقا من آراء الباحثين والمختصين في هذا المجال، مع اعتماد المنهج اللساني التداولي في معالجة قضايا الحجاج و سلمياته المختلفة.

ولعل من أهم المراجع التي تم الاستعانة بها في هذا البحث، كتاب "بلاغة الإقناع في المناظرة" لعبد اللطيف عادل، وكتاب "الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي" لصابر حباشة. و"الحجاج في الشعر العربي" بنيته و أساليبه لسامية الدريدي، وكتاب "اللغة والحجاج" لابي بكر العزاوي، "العوامل الحجاجية" لعز الدين النّاجح، بالإضافة إلى بعض رسائل الماجستير التي تضمنت في عمومها دراسة الحجاج في القرآن الكريم.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد واجهتني الكثير من الصعوبات في مختلف مراحل هذا البحث، أهمها:

- حداثة دراسة الموضوع المواعظ عموما وعند ابن الجوزي خصوصا، وحد علمنا يعد بحثنا هذا أول من تناول هذا الفن من منظور تداولي، وبالتحديد من زاوية سلميات الحجاج.

- نقص المراجع التي تدرس الجانب التداولي من هذا الفن، وصعوبة المفردات في المدونة.

- ندرة المصنفات التي تدرس أسلوب ابن الجوزي نظرا لصعوبته، رغم كثرة مصنفاته من جهة واختلافها من جهة أخرى. فمثلا أسلوبه في كتابة مصنف المدهش يختلف عن منهجه في كتاب القصاص والمذكرين، مثلا.

- استعمال الامام الواعظ للعديد من أساليب الحجاج في مدونة المواعظ والمجالس شكل صعوبة أمام دراسة جميع هذه الأساليب، نتيجة لضيق الوقت.

ورغم ذلك استطعت بفضل الله أولا وبعون من الأستاذة المشرفة الدكتورة "**ربيعة برباق**" أن نتجاوز الكثير من هذه الصعوبات، فلها مني جزيل الشكر والامتنان.

مدخل :التعريف بالمدونة

I- سيرة الإمام ابن الجوزي

II- التعريف بالمواعظ و المجالس

I- سيرة الامام الواعظ ابن الجوزي

1- نسبـه

هو الامام العالم الزاهد الحافظ المؤرخ الواعظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النص بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديّق القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي، عرف بالبغدادي مولوداً وإقامة وبالحنبلي مذهباً[1] والجوزي نسبة إلى شجرة جوز كانت في دار جدّه بواسط ولم يكن بواسط جوزة غيرها وقيل غير ذلك[2].

2- نشأتـه

ولد ابن الجوزي بدرب حبيب، بغداد، وقد اختلفت المصادر في تاريخ ولادته كما اختلف في تاريخ وفاته، فقيل ولد سنة (508هـ). وقيل (509هـ) هـ، وقيل سنة (510)هـ، والأرجح أنّه ولد بعد العشرة، كما يظهر ذلك في بعض مؤلفاته، حيث ثبت عنه أنه بدأ التصنيف سنة 528هـ، وله من العمر 17 سنة[3]، مات والده وله من العمر ثلاث سنين وقد كانت أسرته ميسورة الحال، ويدل على ذلك ما جاء في كلام ابن الجوزي نفسه، فقد قال: "فمن ألف التّرف فينبغي أن يتلطّف بنفسه إذا أمكنه، وقد عرفت هذا من نفسي، فإني رُبّيتُ في ترف، فلما ابتدأت في التقلّل وهجر المشتهى أثّر معي مرضاً قطعني عن كثير من التعبد.."[4]. وقال: "فغاية الأمر أنني أشرع في التقلل من الدنيا، وقد ربيت في نعيمها وغذيت بلبانها، ولطف مزاجي فوق لطف وضعه بالعادة "[5].

---

[1]- ابن الجوزي ، القصاص و المذكرين ، قدم له وحققه و علق عليه و أعد فهارسه: محمد بن لطفي الصباغ ، المكتب الاسلامي، بيروت، ط1، 1983، ص 7 .

[2]- اختلف في أصل نسبته (الجوزي) فقيل ان الجوزي نسبة إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها:(جوزة) وفرضة النهر ثلمته التي يسقى منها، قال ابن رجب: وفرضة البحر: محط السفن، وقال ابن العماد: (وذكر هو أنّه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز) ينظر: ابن الجوزي، المرجع نفسه ، ص8 .

[3]- ابن الجوزي، المدهش، تح: مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 6.

[4]- ابن الجوزي ، القصاص و المذكرين ، ص 8

[5]- ابن الجوزي ، المدهش ، ص 6

أسمعه خاله الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر الحديث الشريف، وحفظ القرآن على يد جماعة من أئمة القراء، وكان مجدًّا في طلب العلم منكباً على تحصيله، لا يضيّع شيئا من وقته يقول ابن الجوزي عن نفسه: "ولقد كنت في حَلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو..."[1].

3- شيوخه

ثبت من مصنفات ابن الجوزي وممن ترجم له أنّه أخذ من العديد من الشيوخ منهم ابن الحصين، القاضي أبو بكر الأنصاري، وعلي بن عبد الواحد الدينوري، وابو الغالب ابن البنا، وابو عبد الله البارع، وابو القاسم السمرقندي، وابو القاسم عبد الله بن محمد الأصبهاني، وأبو سعد البغدادي ويحي بن الطراح، وابو القاسم بن معلى العلوي الهروي الواعظ، وتفرد بالرواية عن طائفة منهم كالمتوكل، والدينوري[2].

4- مكانته العلمية ومصنفاته

يقول عنه ابن كثير: "أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره... وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمئة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلد"[3].

وله في العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو"[4].

يقول الحافظ الذهبي: "ما علمت أنّ أحداً من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرّجل"[5] كما شارك ابن الجوزي – رحمه الله – في علوم عصره وبرز بها، فقد كانت له المنزلة التي لا تدانى في الوعظ.

---

[1]– ابن الجوزي ، القصاص و المذكرين ، المرجع السابق ، ص 9

[2]– ينظر :ابن الجوزي ، بستان الواعظين و رياض السامعين ، تح: السيد الجميلي ، دار الريان للتراث ، الجيزة ، مصر ، 1353هـ، ص 16.

[3]– ابن الجوزي ، المدهش ، ص9.

[4]– القصاص و المذكرين ، ص 14.

[5]– ابن الجوزي، المرجع السابق، ص115.

فاشتهر بمجالس وعظه التي كان يحضرها أهل الحكم ويقصدها الناس من كل حَدْبٍ وصَوْبٍ يجتمعون لها بأعداد كبيرة وبزحام قلَّ نظيرُه[1]، وقد وصف الرّحالة الأندلسي ابن جبير مجلسا من مجالس وعظه عام (580هـ) . بعد أن ذكر له مجلسا حضره أَوَلاً: "ثم شهدنا مجلسا، ثانيا له بكرة الخميس بباب بدر في ساحة قصر الخليفة الناصر(575 .622هـ) ومناظره مشرقة عليه، وهذا الموضع من حرم الخليفة قد خصّ ابن الجوزي بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تللك المناظر الخليفة نفسه ووالدته ومن حضر من الحرم، ثم يفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع، وقد بسط بالحصر وجلوس ابن الجوزي بهذا الموضع كل يوم خميس..."، ثم يقول: "ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لا روية ويصل كلامه في ذلك بالآيات التي قرأها القراء من قبل في المجلس، فأرسلت وابلها العيون، وأبدت النفوس سرّ شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين وبالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت الناس لا تملك تحصيلاً ولا تميز معقولاً، ولا تجد للبصر سبيلاً..."، ثم يقول" ما منا نحسب أنّ متكلما في الدّنيا يعطي من امتلاك النفوس والتلاعب فيها ما أعطى هذا الرّجل فسبحان من يخص بالكلام من يشاء من عباده"[2]

وصنف ابن الجوزي في كثير من العلوم فقد ذكر في نفسه أنّ فنون العلم كلّها كانت محلّ اهتمامه، ومن أهم الكتب التي تركها في التاريخ كتاب: "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم."

وفي تراجم العلماء والصالحين، كتاب "عمر ابن الخطاب" وكتاب " أحمد ابن حنبل" و كتاب "صفة الصفوة". وفي التفسير، مثل: كتاب: "زاد المسير" أورد فيه أقوال العلماء في تفسير الآيات، وقد أوردها دون ترجيح ولا مناقشة[3].

كما اعتنى بالحديث، بل كان علاّمة عصره في الحديث وإمام وقته فيه، يقول صاحب الذّيل على تاريخ ابن السمعاني:" وقد انتهت إليه معرفة الحديث وعلومه والوقوف على صحيحه وسقيمه"[4].

وتذكر المصادر أن له عشر المجلّدات في الشعر، ويبدو أنّه حسن وإن كان محشوًا بالمحسنات البديعية ويرجع ذلك لأسلوبه في كتابة المواعظ.

---

[1]- ابن الجوزي، القصاص و المذكرين، ص 24 .

[2]- ابن الجوزي، المدهش، ص19

[3]- ينظر : المرجع نفسه، ص 19

[4]- ابن الجوزي، القصاص و المذكرين، ص 19

ومن شعره:

ستنقلك المنايا عن ديـارك ويبد لك الرِدَى دَارًا بِـــــدَارِكَ.

وتترك ما غنيت بـه زمانـــا وتنقل من غنـــــاك إلى افتقارك.

فَدُودُ القَبْرِ في عينيك يَرْعَى وتَرْعَى عَيْـــنُ غَيْرِكَ في دَارِكَ.[1]

وقال:

يا ساكـــن الدنيـــا تأهـب وانتظـــر يوم الفـــــراق.

يا كلمـات كونـــــي عـوذة من العيـــون للإمام الكـــامل.[2]

كما صنف في المواعظ العديد من المصنفات، إذ نجد كتابه "التبصرة" وكتابه "ذم الهوى" وكتابه "رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والمواعظ والتذكير"، وكتاب "تبليس ابليس"، و"المدهش" و"صيد الخاطر"، و"المجالس والمواعظ"، و"مشيخة ابن الجوزي"، وغيرها من كتب الوعظ. وقد ثبت عنه أنه قال: "بإصبعي هاتين كتبت ألفي مجلس وتاب على يدي مائة ألف..."[3].

وبذلك يمكن عده إمام الواعظين ومؤسس علم الوعظ دون منازع، وقد أهله تكوينه الديني وثقافته العلمية لأن يكون محاججا قويا في مجال الوعظ.

5- نبوغه في فن الوعظ:

لقد أجمع المترجمون لابن الجوزي- رحمه الله – أنّه كان من الوّعاظ النادرين فظهر فنٌّهٌ في الوعظ وكان إمام وقته في صناعة الوعظ والإرشاد، فيقال أنّ له في الوعظ العبارة الرّائقة والاشارة الفائقة والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيقة، وكان من أحسن النّاس كلامًا، وأتمّهم نظاما وأعذبهم لسانًا وأجودهم بيانًا[4].

---

[1]- سامي شهاب أحمد الجبوري، شعر ابن الجوزي دراسة أسلوبية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص84.

[2]- المرجع نفسه، ص85.

[3]- ابن الجوزي، المواعظ والمجالس ، تح : محمد إبراهيم سنبل ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، مصر ، ط1، 1990، ص20

[4]- قال ابن كثير: "وتفرد ابن الجوزي بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته، وعذوبته وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه، وغوصه على المعاني البديعية، وتقريبه الأشياء الغريبة، فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفم والادراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة" .ينظر: ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، ص 28.

وقيل فيه "أنّه كان لطيف الصّوت، حلو الشمائل، رخيم النّغمة، موزون الحركات والنعمات لذيذ المفاكهة، يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون... وأما السّجع الوعظي فله فيه ملكة قوية إن ارتجل أجاد، وإن روى أبدع"[1].

وقال فيه ابن كثير: "وقد حضر مجلسه وعظة الحلفاء والوزراء، والملوك والأمراء والعلماء والفقراء ومن سائر صنوف بني آدم، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظمًا ونثرًا... وأقلّ ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون"[2].

"وقد أورد الذهبي وابن كثير شيئا من بدائع الكلام، فمن ذلك أنّه التفت إلى ناحية الخليفة المستضيء وهو في مجلس الوعظ فقال:" يا أمير المؤمنين !إن تكلمت خفت منك، وإن سكت خفت عليك، وإن قول القائل لك: اتقِّ الله خيرٌ لك من قوله لكم: إنّكم أهل بيت مغفور لكم.

كان عمر بن الخطاب يقول: إذا بلغني عن عامل لي أنّه ظلم فلم أغيّره فأنا الظالم، يا أمير المؤمنين كان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع، وكان عمر يضرب بطنه عام الَمادة، ويقول: قرقر أو لا تقرقر والله لا ذاق عمر سمنًا ولا سمينا حتى يخصب النّاس، قال: فبكى المستضيء وتصدّق بمال كثير، وأطلق المحابيس، وكسا خلقا من الفقراء"[3].

6- شعر ابن الجوزي

ذكر المترجمون لسيرة الإمام ابن الجوزي – رحمه الله – أنّ له عشر مجلّدات ويبدو أنّه حسن وإن كان محشوًا بالمحسنات البديعية ويرجع ذلك لأسلوبه في كتابة المواعظ.

ومن شعره:

ستنقلك المنايا عن ديـارك ويبد لك الرِدَى دَارًا بِـــــدَارِكَ.
وتترك ما غنيت بـه زمانـــا وتنقل من غنـــــاك إلى افتقارك.
فَدُودُ القَبْرِ في عينيك يَرْعَى وتَرْعَى عَيْـــنُ غَيْرِكَ في دَارِكَ.[4]

---

[1]- ابن الجوزي، القصاص و المذكرين، ص ص 28.29.

[2]- ابن الجوزي ، المواعظ و المجالس،ص 19.

[3]- ابن الجوزي ، المدهش، ص 17.

[4]- سامي شهاب أحمد الجبوري، شعر ابن الجوزي دراسة أسلوبية، ص84.

وقال:

يا ساكـــن الدنيـــا تأهـب وانتظـــر يوم الفـــــراق.

يا كلمات كونـــــي عوذة من العيـــون للإمام الكـــامل.[1]

7- وفاتـــه :

قال سبطه ابو المظفر: "جلس جدّي يوم السّبت الثاني عشر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي وكنت حاضرًا فأنشد أبياتا قطع عليها المجلس... ثم نزل عن المنبر فمرض خمسة أيام أي يوم السابع عشر من رمضان و كان ذلك يوم الجمعة بين العشاءين في داره"[2]

و كانت جنازته يومًا مشهودًا ضاق المكان بالناس حتى قيل أنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى حفرته عند قبر الامام أحمد بن حنبل إلَا بعد وقت طويل وحزن النّاس عليهِ حزنًا شديدًا، وباتوا عند قبره طوال شهر رمضان يختمون القرآن بالقناديل والشموع.

ويقال: " جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث الرسول صلى الله عليه وسلّم فحصل منها شيء كثير، فأوصى أن يسخّن بها الماء الذي يغسّل به بعد موته، ففعل ذلك و كفى الماء...."[3]

---

[1]- سامي شهاب أحمد الجبوري، المرجع السابق، ص85.

[2]- ابن الجوزي، المدهش، ص 5.

[3]- ابن الجوزي، المواعظ و المجالس، ص 16.

II -التعريف بالمواعظ والمجالس

المدونة محل الدراسة هي عبارة عن مخطوط فريد من نوعه، فقد حوى درَرًا من الفصاحة وبيان ما يعجز كثير من الفصحاء عن قوله، فهو مرجع لا يستغنى عنه أي دارس في مجال الدّعوة والوعظ وذلك بسبب غزارة مادته العلمية، وأسلوبه وهو ما يدل على تمكنه من أساليب البلاغة لذا نجده يستخدم العلاقات الراقية والمعاني الدقيقة والاستعارة الرشيقة.

كما أنّه في هذا المصنف يقتبس بعض التعبيرات القرآنية مما يجعل في كلامه نورًا وتأثيرًا بالغًا في النفوس والعقول؛ كما أنّه يورد جملاً من الأحاديث النبوية وهو ما يدلّ على امتلاكه ثروة حديثية فائقة.[1] استخدم الجناس والسّجع البديع المشوق غير المتكلف المؤثر في مشاعر المتلقي.

وقد قسم الإمام ابن الجوزي هذا المصنف إلى ثلاثة وثلاثين فصلًا، كل فصل يحتوي على عدة مواعظ، كل موعظة تمّ تأييدها، إمّا بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف، أو بأثر لصحابي، أو لأحد التابعين، ثم يتم إتباعها ببيت شعري أو عدّة أبيات حتى يكون لها الأثر، وتكون أقرب لنفوس السامعين، ليتبعها بحكاية للصالحين أو أحد التابعين أو غيرهم من العباد والزهاد على مرّ التاريخ وهو ما يجعل الموعظة أشدّ وقعا وأعظم تأثيرًا وأكثر استقرارًا في القلب، وأضمن نتيجة فيتوب السامع إلى ربّه ويسير وفق منهجه.[2]

وقد برع ابن الجوزي أيّما براعة في إخراجه لهذا المصنف، وهو كتاب حجمه كبير في كل ورقة سبعة عشر سطرًا تقريبا كل سطر يحتوي على تسع كلمات مكتوب بخط نسخي واضح، وتم نسخه على يد الواثق لله الغني أبي العينين الزيني المالكي الأحمدي، وهو ما وجد في الصفحة الأخيرة للمخطوط.[3]

أمّا بالنسبة للنسخة محل الدراسة فهي نسخة محققة، صدرت عن دار الصحابة للتراث بطنطا وقد حققه الدكتور محمد إبراهيم سنبل في 320 صفحة، وقد أورد فيه عرضا لما جاء في المخطوط

---

[1]- ينظر : ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 9.

[2]- ينظر :ان الجوزي، المواعظ و المجالس ، ص 10.

[3]- المرجع نفسه، ص 11.

الأصلي الذي تحصل عليه المحقق، وذكر أنّه قام بتخريج الأحاديث والآيات القرآنية، وشرح بعض الألفاظ الغريبة والغامضة، ووصف أسلوب الإمام في كتابه، وقام بإخراج هذا المصنّف.

وأمّا المواعظ الواردة في المصنّف، ففيها ما يخاطب العقل بالدليل من القرآن، خاصة أنّ هذه المدونّة لأنها تتحدث عن الدنيا وغرورها، والآخرة وحلاوة نيلها إذا كان العبد محسبا طيبا؛ وفيها ما يخاطب القلب بالعاطفة من خلال قصص الصالحين والتّأيين، وفي هذا المصنف تظهر قدرة الإمام على تمكنه من علم الوعظ، وتركيزه على الطرائق الحجاجية، التي تجعل من السّامع راضِخًا ومذعنًا لما يقوله، متّعظًا نادمًا على ما أشرف في دنياه.

ومما يلفت الانتباه في المواعظ الواردة في هذا المصنف أن ابن الجوزي – رحمه الله – على دراية عميقة بخواطر النفس، فهو يقوم بعملية تحليلية للنفس البشرية، فيستخرج أسرارها ويكشف خباياها فتتعرف مثلا إلى دوافع الغفلة وحب الدنيا والانصراف عن الله- عز وجل – وإلى الأسلوب المناسب للمعالجة والطريقة المثلى للتخلص من أمراض القلب.

ويظهر لنا أيضًا أن المواعظ الواردة في هذا المصنف بمثابة تسجيل حي لمجالس الوعظ التي جلسها ابن الجوزي، ثم جمعها في هذا المصنّف، لأنّ العديد من هذه المواعظ وردت في المدهش. أي أنه لم يقصد تصنيف الكتاب و إنما مادته مجموعة من مجالس الوعظ التي أقامها في وقت سابق.

الفصل الأول : الحجاج و المواعظ

I- الحجاج تاريخه و نظرياته

II- ماهية الوعظ و مبادئه

III- خصائص الخطاب الحجاجي الوعظي

IV- استعمالية الحجة في المواعظ

الفصل الأول: الحجاج و المواعظ

لقد عرفت الدراسات في الخطاب اللغوي نهضة قوية في العصر الحديث، حيث فرضت مكانتها في عالم المعرفة، وقد ارتبطت هذه الدراسات ارتباطاً وثيقاً بالمباحث التداولية عامة، و الحجاجية بصفة خاصة.

حيث أصبح الحجاج موضوعاً لافتاً للانتباه بسبب حضوره الكلي ،الجزئي أو الضمني في معظم الخطابات الإنسانية، سواء أكانت فلسفية أم أدبية أم سياسية أم أخلاقية.... خصوصا في عصرنا هذا، الذي يتسم باحتدام الجدال والحوار قصد الإقناع والتأثير في الآخر، لا سيما مع تطور وسائل الإعلام، التي صارت أداة لمناقشة الأفكار وتبادلها، مهما كانت طبيعتها ومصداقيتها.

وتجدر الإشارة إلى أن الحجاج ليس قضية أو فكرة جديدة بل إن جذوره تعود إلى عصور قديمة خاصة عند العلماء اليونان والرومان والمسلمين، ممارسة وتنظيرا. ويتجلى الحجاج واضحا في ثقافتها العربية في القرآن الكريم والسنة، والخطب، والمواعظ، والعلوم المختلفة كالنحو والبلاغة، وفي الفنون الأدبية كالمناظرة والمقامة والرسالة، والمنطق، وغيرها من مجالات الفكر واللغة. وهذا لأن الحجاج يتميز بطابعه العقلي العام الذي ينبني على طرح الرأي والرأي الآخر.

I- الحجاج تاريخه و نظرياته

1- ماهية الحجاج

أ- الحجاج لغة

جاء في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) مادة(ح.ج.ج): "الحجُّ كثرة القصد إلى من يعظَّم...والمحجَّة وجه الظَّفر عند الخصومة، والفعل حاججته وحُجَّته احتُجَّت عليه بكذا، وجمع الحجَّة حججٌ والحجاج المصدر"[1].

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين .تح :د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتاب العالمية،مج1،ص286-287.

يقول ابن سيده (ت 458 هـ): "حاججته أُحَاجهُ حِجاجاً، مُحَاجَةً من حججْتهُ بالحُجج التي أدليت بها، والحُجة البرهان وقيل الحُجة ما يدفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجّةُ الوجه الذي يكون الظفر به عند الخصومة، وجمع الحجة حُجَجٌ وحِجَاجٌ، وحاجّه محاجّةً وحجاجاً نازعه الحجة، وحَجَجَهُ يحُجُه حجاّ غلبة على حُجّتِه واحتج بالشيء اتخذه حُجّة، قال الأزهري "إنما سميتها حجة لأنها تُحجُ أي تُقْصد لأن القصد لها وإليها" [1].

ويظهر من تعريفهما هذا أنهما بعيدان الحجاج إلى مادة (حجج)، التي تعني في اللغة القصد لأن الحجة مقصودة لذاتها.

أما ابن منظور (ت711هـ) فقد ذكره في معجمه و قال :"حاججته أحاجُهُ حجاجاً محاجةً حتى حَجَجْتُهُ أي غلبته بالحجج التي أغلبت بها .... ويقال حاجه مُحاجّةً وحجاجاً نازعه الحجة.... ويقال أنا حاججته فأنا محاجُه وحجيجه، أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان ". [2]

فالحجاج بهذا المعنى هو إعطاء الدليل لإقناع الآخر، ومغالبة من ينازعه الحجة ويخالفه الرأي.

وأما الاحتجاج من احْتَج بالشيء أي اتخذه حجة[3]، وسماه الزركشي إلجام الخصم بالحجة [4] أي إقحامه وإقناعه، والتغلب عليه بالحجة القوية القاطعة.

وفي معجم الوسيط لمجمع اللغة العربية – ورد معنى الحجاج في مادة (ح ج ج): «حجَّ إليه حجًّا قدم، وحجَّ المكان قصده، ويقال حجَّ بنو فلان فلانا أكثروا التردُّد عليه، حجه غلبه بالحُجَّة يقال حاجه فحجَّه...حاجَّه مُحاجَّة وحجاجًا جادله .وفي التنزيل ﴿**أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجّ إبرَاهِيمَ فِي رَبِّه**﴾[سورة البقرة، الآية258]، احتجَّ عليه أقام الحُجَّة وعارضه مستَّنكرا فعله، تحاجُّوا تجادلوا ...والمحجاج الذي يكثر الجدل».[5]

---

[1]– ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية لبنان ، مادة حجج .ص224

[2]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، مادة (حجج)، ج1، ص 226.

[3]– المصدر نفسه، ص226.

[4]– بدر الدين أبو عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: حمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، حلب، 1958، ص 468.

[5]– إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مصر، مادة (حجج)،ج1. 196

و يظهر مما تقدم أن الحجاج لغة مصدر للفعل حاجج، وهو فعل يتم بين طرفين متنازعين ومتخاصمين، ويستخدمان الحُجَّة وسيلة ليغلب أحدهما الأخر. عن طريق تقديم الأدلة والبراهين المقنعة، والغلبة تكون للحجة القوية.

ب – المفهوم الاصطلاحي

يصعب حصر مفهوم الحجاج وتحديده بشكل دقيق متفق عليه، لأنه مفهوم مشترك بين مجالات الفكر المختلفة، إذ لا يكاد يخلو منه خطاب الطبيعي بوجه عام، حيث نجده في الفلسفة والمنطق، واللغة والأدب والبلاغة، وفي الدراسات العلمية والسياسة والقانون، "إلا أن وجود واستخدامه يبلغان درجتهما القصوى ويشكلان بنية ذات نظام في خطابات معينة كالمناظرة، والجدل، والمرافعة، والاتهام مثلا"[4]. لذلك يعد من أشهر المقاربات اللسانية والخطابية المعاصرة، التي تعتمد في مثل دراسة مثل هذه الخطابات.

ولذلك عادة ما تكون دراسة الحجاج من خلال عدد من المجالات من مثل الحجاج الجدلي والبلاغي الأرسطي واللغوي والخطابي والتداولي وكذا الحجاج المنطقي الطبيعي، وما يهمّنا في هذه الدراسة هو الحجاج التداولي والذي حمل لواءه كل من بيرلمان و تيتكا.

فالحجاج ذو فعالية تداولية، لأنه مرتبط بالممارسة اللغوية أو الإنجاز الفعلي للغة، فحيزه مقامي اجتماعي، يتعلق باستعمال اللغة في مقامات معينة، وإقناعي غايته التأثير في المتلقي.

ومن التعريفات الاصطلاحية التي قدمت للحجاج نذكر:

تعريف **طه عبد الرحمن** الذي يقول :"كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة تحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها"[1]. ويظهر في تعريفه هذا أنه قد اقتصر على عملية الإفهام، وهذا ما أشار إليه **عبد الهادي الشهري** بقوله: "التلفظ ومن ثم الإفهام لكنه لا يتجاوز ذلك إلى الغرض التداولي من الحجاج وهو تحصيل الإقناع"[2].

---

[1]– طه عبد الرحمن، اللسان والميزان و التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ،ط1998،1، ص230.

[2]– عبد الهادي ظافر الشهري ، استراتيجياته الخطاب ،مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان،ط1، مارس2004، ص456.

ويعرف **شايم برلمان** (chaimperlman)(ت1984) و **لوسي تيتيكا** (lucityteca) (ت1987) الحجاج بقولهما: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم"[1].

ويظهر من خلال تعريفهما دور التقنيات الحجاجية في جعل الخطاب مؤثرا ومقنعا للمتلقي.

أمَّا فيما يخص الغاية من الحجاج فيقولان: "...إنَّ غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على عمل المطلوب، وهو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين ذلك العمل في اللحظة المناسبة"[2].

نفهم من خلال هذا التعريف أنَّ التقنيات الحجاجية التي يستعملها الحجاج يقصد بها التأثير في العقول وجعلها تقتنع بما تتلقاه من أفكار، وهذه هي غاية الحجاج.

أما الحجاج عند **اندرسن** (Andersen) (ت2008) **ودوفر**(dover) فهو: "طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعاوى المنطقية، وغرضها حل المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة، والتأثير في وجهات النظر والسلوك".[3]

ويتضح من خلال قوله هذا أن لاستخدام المنطق وآلياته دور هام في حل النزاعات وترجيح الرأي الأقوى وتغيير موقف الطرف ورأيه المتلقي من القضية المتنازع فيها.

ولذلك يقول **ميشال مايير** (Michel.meyer) "يعرف الحجاج عادة بكونه جهدا إقناعيا (إفحاميا) ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه".[4]

---

[1]- عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته من خلال مصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة) لبرلمان و تيتيكا، ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي صمود.، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ص299.

[2]- ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجياته الخطاب ،مقارنة لغوية تداولية ، ص456.

[3]- محمد العبد، النص الحجاجي العربي (دارسة في وسائل الإقناع) ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته .إشراف حافظ اسماعيلي علوي. ص5

[4]- حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ،حافظ اسماعيلي علوي.ص624

ويقصد بذلك تقديم حجج منطقية قوية ومقنعة يتقبلها العقل، من أجل ضمان إحداث التأثير في ذهن المتلقي، وسلوكه "فما الحجة عنده إلا جواب عن وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدَّر يستنتجه المتلقي ضمنيا من خلال الجواب".[1]

وقد لاحظنا من خلال ما سبق أن هذه المفاهيم التي قدمت للحجاج تختلف عن بعضها قليلا، ولكنها تتفق في كونه عملية تقديم الأدلة والبراهين من أجل إقناع المستمعين

فالحجاج إذا فعل لغوي ووظيفة أساسية للغة الطبيعية، ومؤشر له في بنيتها، فهناك أدوات وروابط، وعبارات لغوية يتمثل دورها في القيام بالعمليات الحجاجية، وله عدد من الخصائص، أهمها:

1- يتوجه إلى متلقٍ .

2- يعبر عنه بلغة طبيعية .

3- مسلماته تكون احتمالية، إذ هناك إمكانية النقض، وإمكانية التسليم بما هو مقدم أمر نسبي بالنسبة إلى المتلقي .

4- نتائجه غير ملزمة

وعليه فان تعريف بيرلمان يعد شاملا إذ يقول "الحجاج إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل، أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، فأنجع حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة، سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما تحققه الرغبة عند المرسل إليه من أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة"[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الحجاج لا يعني فقط الإقناع، بل هو أيضا بناء طريقة للعرض تستهدف التأثير بها على المتلقين فالخطاب اليومي الذي يجربه الناس فيما بينهم من خلال نقل معلومات أو التعارف أو تقديم معطيات لا يكون هدفه سوق حجة أو البرهنة على موقف أو الدفاع عن رأي.

وهو ما يؤكده (plantin) في قوله: "من التسرع الاعتقاد أن الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط فهنالك كثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية "[2].

---

[1]- عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،دار الفرابي،لبنان،ط2001،1ص41

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجياته الخطاب ،مقارنة لغوية تداولية ، ص 465 .

وعليه فالخطاب الحجاجي يحمل ضوابط يفترض من المخاطب أ يلتزم بها، وهي كالآتي[1]:

1- يفترض أن يكون الحجاج ضمن الثوابت مثل: الثوابت الدينية والثوابت المعرفية فليس كل شيء قبلا للنقاش أو الحجاج.

2-أن تكون دلالة الألفاظ محددة، والمرجع الذي يحيل إليه الخطاب محدد لئلا ينشأ عن عدم التحديد الدقيق مشكلة في تأويل المصطلحات التي من قبيل: الديمقراطية، الشفافية، الضبابية.

3-ألاّ يقع المخاطب في التناقض بقوله أو بفعله.

4-موافقة الحجاج لما يقبله العقل، وهو ما يحفظ الخطاب من الزيف ويوهن الحجة.

5- مناسبة الخطاب الحجاجي للسياق العام، وهو ما يكفل للحجة الثبات في الخطاب من عدمه

6-امتلاك المخاطب ثقافة واسعة، و التخصص في المجال الذي يدور ضمنه الحجاج المجال الديني أو السياسي ....

7-ضرورة خلو الحجاج من الإيهام أو المغالطة.

8-توافر المعارف بين طرفي الحجاج ولو بشكل نسبي يفوق النصف لفتح مجال المنافسة وضمان عنصر الفهم والإفهام.

9- التصور المسبق لطبيعة المخاطب أو القرب منها فالتصور القاصر للمتلقي أو للظروف المحيطة قد يؤدي نتائج غير مرغوبة.

وبهذا فدور الحجاج هو تحقيق الإقناع الذي يتولد عند المتلقي بالحجاج، فأول ما ينصب عليه اهتمامه هو البصر بالحجة، وهو حسن التدبير، والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الحجاج في صورتها المثلى، حتى يسد المتكلم السبيل على المتلقي، فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجة فيختار المتكلم من الحجج ما يناسب السياق، ثم يصوغها في قالب لغوي مناسب ليخاطب بها عقل المتلقي ويؤثر بها على عواطفه بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى.

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع السابق ، ص 465 .

2 - الحجاج عند الأمم القديمة

الحجاج ممارسة عقلية قديمة قدم التفكير البشري، ولكن أقدم الدراسات التي تناولته فتعود من الزوايَّة التاريخيَّة إلى اليونانيين، ومنهم **السفسطائيين**(*)(ق5.ق.م) وأفلاطون وأرسطو.

أ- **الحجاج عند السفسطائيين:** وقد بحثوا في السبل التي يتحقق بها الإقناع وتغيير آراء الآخرين، وزاحمهم في ذلك رائد الفلسفة الغربية القديمة **أفلاطون** (phlaton) (**347ق.م**) وتلميذه الفيلسوف الموسوعي الشامل أرسطو(aristots) (**ت 322 ق.م**) اللَّذان درسا البلاغة دراسة حجاجيَّة، حيث تناولا العديد من الظواهر المتعلقة بالعمل الحجاجيّ بدرجة عالية من الدقة والشمول، لكن نظريات أفلاطون جاءت على اختلاف مع فرضياتهم، وهذا الاختلاف أدَّى إلى قدح خطير علق بالسفسطائيين إلى وقت قريب من العصر الحديث، وهكذا صار اسمهم مرادفا للنقاش الفارغ وغير النفعي. فقد نقد أفلاطون السفسطائيين في عدَّة قضايا وقال بأنَّ: «الحجاج السفسطائي يزيِّف استعمال القول بما هو فضاء للتواصل بين الإنسان والإنسان، فهو حجاج يقوم على التملق(**)faltterie"[1]. كما اعتبرهم أدعياء على العلم والمعرفة، وإنَّ ما يقدِّمونه ما هو إلاَّ نتائج ظنِّية مبعثها الهوى واللَّذة، ومضرَّة بالقيم والأخلاق واليقين والإيمان[2].

ومع ذلك لا يمكننا أن ننكر أن فضل الأسبقية في زرع البذرة الأولى للعمل الحجاجي يعود إلى السفسطائيين، وبالرغم من إتباعهم طريقة السفسطة التي رفضها كثيرون من بعده.

ب-الحجاج عند أفلاطون

نشأ الحجاج عند أفلاطون حين بدأ النقاش بينه وبين السفسطائيين، وقد أفرد أفلاطون لمواجهتهم محاورتين هما: (قورجيا سوفيدر) (vader,georgias) حيث نقد البلاغة السفسطائية

---

*- السفسطائيون:"حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن(5.ق.م) وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية وبالخبرة الجدلية، وتجلى ذلك من خلال تسميتهم التي كانت تعني الحكيم الخبير بكل فن وأسلوب"، ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص24.

**- التملق: "هو تسلط بالقول ماكر مقنع" ،حمادي صمود ،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، من أرسطو إلى اليوم المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ص84

[1]- المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[2]- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص26

واعتمد في نقده استراتيجية واحدة هي (استراتيجية الكشف) كما سمَّاها **هشام الريفي**، لأنَّه رأى أنَّ مقارعتُه لهم تُعدُّ على نحوٍّ معين كشفا للقناع عن أغاليطهم و مزاعمهم وتلاعباتهم اللغوية[1].

فكانت بذلك البدايات الأولى لأعمال أفلاطون في العمليَّة الحجاجيَّة من خلال محاوراته مع بعض السفسطائيين، ففي محاورة **قورجيا** بحث في موضوع الخطابة، ووظيفتها من خلال المقابلة بين العلم والظَّن، وتوصَّل إلى أنَّ الإقناع نوعان: الأول يعتمد على العلم، ويعتمد النوع الثاني من الإقناع على الظَّن، الذي هو موضوع الخطابة السفسطائيَّة، واعتبره إقناعا غير نفعي فهو لا يكسب الإنسان معرفة. وفي المقطع الثاني من المحاورة قيَّم أفلاطون ووظيفة الخطابة في ضوء المقابلة بين "خير ولذَّة"، وذكر أنَّ هناك صنائع تحقق الخير للإنسان، وهي جسمه ونفسه، وذكر أنَّ هناك ممارسات تخاتل الإنسان وتخدعه، فهذه الممارسات جعلها تحت اسم جامع هو "التملق"، فهذه الكلمة تفيد اللَّذة والخداع، وفي رأيِّه أنَّ الخطابة السفسطائيَّة هي قول يتناول الظاهر لا الحقيقة ويقصد تحقيق اللذة لا الخير[2].

ويتَّضح من ذلك أنَّ أفلاطون قد اعتمد في تقسيم القول من منطلق صلته بالقيَّم المثلى، إذ اعتمد معياري: العلم في التمييز الأول، والخير في التمييز الثاني، وهذا يعود إلى فلسفته الدينية المثالية.

فهو «يحارب الظَّن والمراوغة والتزييف، وتحقيق المآرب غير الشرعيَّة بسلطة القول، وبالتالي فهو منهجٌ غير سياسي نظرا إلى ما تتيحه السياسة من وسائل متعدِّدة للوصول إلى غاياتها[3].

وبذلك يمكن عد محاورات أفلاطون نقطة بداية للتأسيس للنظريَّة الحجاجيَّة القديمة، وذلك من خلال محاورته للسفسطائيين ومنهجه الذي يسعى للوصول إلى الحقيقة المطلقة.

ج- الحجاج عند أرسطو:

جعل أرسطو قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة، حيث ربط وجودهما بوجوده[4]. فالجدل والخطابة في رأي أرسطو مرتبطان ببعضهما، وغايتهما مع هو الإقناع والتأثير في المتلقي

---

[1]- ينظر: أمحمد عرابي، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور عبد الخالق رشيد، جامعة السانية، وهران، 2009/2008،ص27.28

[2]-ينظر: هشام الريفي الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، ص63.

[3]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 29.

[4]-ينظر: كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، جامعة القرويين، كلية اللغة العربية، مراكش، المغرب، 2013، الأردن، ص 94.

يقول **عبد الله صولة:** فالجدل والخطابة يشتركان في صناعة الفعل الحجاجي"[1]. مؤكدا بذلك موقف أرسطو من علاقة الحجاج بالخطابة.

وللحجاج عند أرسطو زاويتان زاوية بلاغيَّة وأخرى جدليَّة، فالزاوية البلاغيَّة تربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، أمَّا الزاوية الجدلية فترتبط بعملية التفكير التي تتم في حقل حواري، تبدأ من مقدمات وتنتهي بنتائج، فهاتان النظريَّتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدِّمه (أرسطو) لمفهوم الحجاج، إذ يبيِّنه انطلاقا من أنواع الحضور ومن الرغبة في الإقناع ويحددهُ في ثلاثة أنواع: **النوع الاستشاري والقضائي والقيمي**، وبذلك استطاع أرسطو أن يوسع حقل البلاغة.

وذلك يجعله يشمل كل الأماكن التي يستخدم فيها الحجاج[2]. وللفعل الخطابي عنده ثلاثة أركان، هي: **الخطيب والمتلقي والخطاب**[3].

وبذلك يمكننا عد أفكار أرسطو أول نظرية حجاجية قائمة بذاتها عند القدماء، لأنها تأسس للعمل الحجاجي، بتحديد أركانه وشروطه.

3 – الممارسة الحجاجية عند العرب القدماء

كان العرب أهل فصاحة وبيان، يقيمون مجالس أدبية يتشاعرون ويتفاخرون ويتناظرون ويتسابقون في فنون القول، وكان عمله هذا في صميم الممارسة الحجاجية، إلى أن جاء القرآن الكريم خطابا موجها إلى الناس كافة، ومتحديا للمتفاخرين بالبلاغة والبيان، بأساليبه التي لا يمكن أن يجاريها كلام البشر، ليقوم ويغير أمة لها عقائدها. وقد جاء التحدي صريحا على الإتيان بمثله، في قوله –عز وجل– ﴿**فأتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[سورة البقرة الآية 23] فكانت هذه الآية حجة دامغة لدحض ما يعتقد به المشككون من كون القرآن شعرا، أو كلام ساحر أو مجنون.

وقد عد القرآن الكريم نصا حجاجيا بامتياز، فقد جاء ردا على خطابات تكتسي صفة المراوغة والكبر والمخالفة الناشئة عن الخصومة، وعناد كل من الكفار والمشركين.

---

[1]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 22.

[2]– ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتي، تر: محمد صالح نادي الغامدي، تاريخ نظريات الحجاج، مركز النشر العلمي،ط01، 2011، ص 29.

[3]– ينظر: دحمان حياة، تجليات في القرآن الكريم (سورة يوسف)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 44.

قال تعالى: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [النمل، الآية 64]. ودعوة للمؤمنين لإصلاح حالهم، قال ابن عاشور (394 هـ) في حديثه عن غاية القرآن الكريم، "إن الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة، واصطلاح كفارها بدعوتهم إلى الإيمان وإصلاح المؤمنين بتقديم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طرق النجاح وتزكية نفوسهم، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدة الدعوة"[1].

فقد اشتمل القرآن الكريم على جميع أنواع البراهين والأدلة، فالمتمعن فيه يجد من الترغيب ما يشرح صدره ومن الترهيب ما يرجف قلبه، كما نجد في القرآن الكريم من وسائل الإقناع ما يذعن العقل إثباتا لحقيقة الإسلام والإيمان بالله ولقائه ورسله وقضايا الآخرة، إضافة إلى كل ذلك فإن كل واحد يجد فيه ضالته وبغيته لأنه «ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به"[2].

ومن الأمثلة الواردة في القرآن الكريم عن الحجاج نذكر الحجاج الذي دار بين الملك النمرود والنبي إبراهيم عليه السلام، وذلك بعد أن نجى الله إبراهيم عليه السلام من النار، تغلغل الخبر بين الناس وانتشر بينهم، فسمع الملك النمرود بذلك، فاغتاظ وتجبر وتكبر وطلب من سيدنا إبراهيم المجيء إليه ليجادله فكانت الحادثة عبرة لمن يعتبر.

قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)**﴾ [البقرة، الآية 258-259].

---

[1] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ،ص 43.44.

[2] – هشام فروم: تجليات الحجاج في الخطاب النبوي ص 67.نقلا عن: جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي ،محمد الكتابي،ص44.

فالحجاج هو أن تأتي بحجة تبطل بها رأي المجادل، وتثبت بالدليل صحة فكرتك لإقناعه، وهذا ما فعله سيدنا إبراهيم بالضبط، وتبين لنا ذلك من خلال الآيات السابقة، إذ قدم سيدنا إبراهيم حجة إلى خصمه وهي أن الله يحي ويميت، إلا أن خصمه عادله في هذه الحجة فأتاه بحجة أقوى منها، وهي أن الله يأتي بالشمس من المشرق، وطلب من المنازع أن يأتي بها من المغرب، وبهذه الحجة الدامغة ظهر عجز الملك النمرود وبهت، فلم يبق له ما يقول أو يجادل أمام هذه الحجة. ولم يكتف سيدنا إبراهيم بكل ما قدمه من حجج وأضاف حجة ثانية للدلالة على وجود الله وقدرته على كل شيء، وتلك هي الحكمة التي أرادها الله حين أمات الرجل ثم أحياه، وفي الوقت نفسه اتخذها سيدنا إبراهيم عليه السلام كحجة ليقنع بها خصمه النمرود بوجود الله وعظمته.

ومن هنا نستطيع أن نقول «الخطاب القرآني هو خطاب حجاجي وهو أنواع، فهو حسب الزركشي خطاب تهييج وإغضاب وتشجيع وتحريض وتنفير وتحبيب وتعجيز وتحسير وتكذيب وتشريف»[1].

وبالتالي يمكن أن نصل إلى خلاصة هي أن القرآن الكريم خطاب حجاجي بالدرجة الأولى، لأنه يهدف إلى الإقناع والتأثير، للقضاء على الخصومة والمحادثة والعناد الواقع بمجيء الدين الجديد.

أما الحديث الشريف فبمثابة القول الشارح للقرآن الكريم، ولا يمكن فهم جميع ما جاء فيه إلا بالرجوع إليه، فقد قال الله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ **[سورةالنساءالآية09]**. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه (أي السنة)**"[2]. مشيرا بقوله هذا إلى أن أي شخص استعصى عليه فهم أمر ما، أو تنازع مع غيره على حكم مسألة معينة عليه أن يرجع إلى الكتاب والسنة، ففيهما الإجابة الكافية والحجة الشافية.

من صور حجاج الرسول صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين وانتصاره عليهم بالدليل والحجة المقنعة ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**الم اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [سورة آل عمران الآية1] أن وفدا من النصارى كانوا ستين راكبا قدموا للنبي صلى الله عليه وسلّم، فقالوا تارة عيسى هو "الله "لأنه كان يحي الموتى، وتارة هو "ابن الله "إذ لم يكن له أب، وتارة انه ثالث ثلاثة

---

[1] – ينظر: دحمان حياة، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجا، ص 99.

[2] – محمد ناصر الألباني، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، مكتبة المعارف، الرياض ،ط01،الرياض،(2005/1425) ص 23.

لقوله تعالى "فعلنا وقلنا"، ولو كان واحدا لقال" فعلت وقلت".فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ :أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَأَنَّ عيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ؟ قَالُوا : بَلَى. قال: أَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَائم عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَكْلَؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ فَهَل يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِك شَيْئًا؟، قَالُوا :لَا. قَالَ: أَفَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَافِي السَّمَاءِ؟ فَهَلْ يَعْلَمُ عِيسَى مِنْ ذَلِك شَيْئًاً امَا علم؟ قَالُوا: لَا. قالَ : (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ، وَلَا يُحْدِثُ الْحَدَثَ؟ وأن عيسى كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ، وَيُحْدِثُ الْحَدَثَ؟،قَالُوا : بَلَى. فقال صلى الله عليه وسلم: فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ؟

فسكتوا وأَبَوْا إِلَّا الجحود ، فَأَنْزَلَ اللَّه عزَّ وَجَلَّ: ﴿**الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّ اهُو الْحَيُّ لْقَيُّومُ**﴾ [سورة آل عمران الآية 01و02].[1]

ومن خلال حجاج الرسول صلى الله عليه وسلّم مع النصارى نلاحظ المنهج الرائع للرسول صلى الله عليه وسلم في حواره معهم، حيث واجههم بأفكارهم وأداهم من أفواههم، فعلموا انه حق لكنهم جحدوا ذلك.

4 – التنظير الحجاجي في الدراسات العربية القديمة:

وقد كان للنص القرآني بطبيعته الحجاجية، والنهضة العلمية العربية في جميع مناحي الحياة، وخصوصا في اللغة والبلاغة والأدب، بالإضافة إلى انفتاح الثقافة العربية على الثقافة اليونانية، وترجمة كتب أرسطو وشرحها من قبل الفلاسفة العرب خصوصا الفرابي (260هـ/399) وابن سينا (127/370) وابن رشد (1126هـ/1198)[(2)]، وغيرهم ممن لم نذكره. بالغ الأثر في نشأة التنظير الحجاجي عند العرب.

ومن أقطاب النظرية الحجاجية العربية القديمة، الذين نظروا للحجاج في مؤلفاتهم، نذكر:

أ – عند الجاحظ (255م): ويرى بعض الدارسين أنه أول من حاول التنظير للحجاج عند العرب من خلال كتابه "البيان والتبيين" وذلك حين تحدّث عن الخطابة، باعتبارها نوعا من أنواع الكلام

---

[1] _محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، قصر الكتاب للنشر، البليدة الجزائر، ج1، ط5، 1990 م, ص 18

[2] – ينظر: هشام فروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية، ص 64.

والخطيب باعتباره أنموذجا للمتكلم، وعبّر عنها بمصطلحات من حقل دلالي واحد تجري وحداته إلى الغاية نفسها، ألا وهي: الإقناع، والاحتجاج، والمنازعة، والمناظرة، وكل ما يدور في هذا الفلك[1].

ولقد أورد الجاحظ خطبا للنبي والصحابة وخطب الحجّاج وزياد، وأخرى كان طرفا فيها، وقد غلب عليها طابع "الحجاج" الذي أشار إلى أهميته باعتباره البلاغة حجاجا[2]، حيث يعرّفها بأنّها: "إظهار ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل"[3].

وبذلك يكون الجاحظ قد جعل الفصاحة، وإحكام الحجّة، ومعرفة أحوال المتخاطبين و مستويات تقبّلهم، واختيار المقال المناسب للمقال،[4]. أساسا للإقناع الذي هو غاية الحجاج.

ويرى **محمد سالم الطلبة** أن "المتمعّن في "البيان والتبيين" سيقتنع بأنّه كان يمثّل موقفا حضاريا ومحاولة لإرساء مجتمع عقلاني تربط بين أفراده علاقات الإقناع بالمنطق، أو الاستمالة بشتّى صور الدّلالة والتعبير الاجتماعي»[5]. ذلك أن الجاحظ يرى الخطاب الإقناعي الشفوي هو خطاب تقدم فيه الغاية عن الوسيلة، ويرى أن للبلاغة وظيفة إقناعية. و يؤكد ذلك قوله: أن صديقه سأل العتابي ما البلاغة، فأجابه «كل من أفهمك حاجته من غير عادة ولا حسبة، ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق"[6].

ويتضح مما سبق من ذلك أن الجاحظ لم يتناول الحجاج من جميع جوانبه لأنه ركز على الجوانب البلاغية، كما أنّ تناوله لم يكن تناوله متناسقا في مؤلفاته، لذلك لا يمكن الجزم بأنه صاحب نظرية حجاجية مكتملة.

ب – الحجاج عند أبي إسحاق بن وهب (ت 335هـ): يظهر الحجاج عند أبي إسحاق من خلال كتابه "**البرهان في وجوه البيان**" حيث نجده يتحدث عن الجدل والمجادلة، قائلا بأنَّ الجدل عبارة عن خطاب تعليلي إقناعي ويجب أنْ يراعي فيه الجانب الأخلاقي.

---

[1]– عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة الغانجي، مصر، ط7، 1998، ج1، ص97.

[2]– ينظر: محمد سالم الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص212.

[3]–عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص220.

[4]–محمد العمري، البلاغة العربية (أصولها وامتداداتها)، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999، ص:193-195.

[5]–محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص215.

[6]– المرجع نفسه، ج01، ص 113.

فالجدل والمجادلة "هما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين" فهو يستعمل في المذاهب والديانات وكذلك في الحقوق والخصومات ويدخل أيضا في الشعر والنثر[1].

وقد ساهم بكتابه المذكور في تنظيم المساهمات البيانيَّة التي سبقته واستنباط أثر الجاحظ الذي حدد وجوه البيان في خمسة أنواع "**اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال**"[2]. أما ابن وهب فقد صنَّفها في أربع أنواع وهي بيان الاعتبار بيان الاعتقاد، بيان العبارة والبيان بالكتاب وقد خص لكل منها بابا في كتابه البرهان في وجوه البيان .

فبيان الاعتبار هو بيان الأشياء بذواتها وهو عند ابن وهب بيان الحال أي حال الكائنات والأشياء الطبيعة وتأثيرها على إدراك الإنسان، خاصة الظَّاهر منها وهو يدرك بالحس، والخفي الذي يدرك بطريقتين: القياس والخبر، أما بيان الاعتقاد وهو البيان الذي يحصل عند أعمال الفكر وهذا الوجه يقف على كيفية فهم الأشياء وإدراكها، أمَّا بيان العبارة فهو صنفان بيان الظاهر وهذا لا يحتاج إلى تفسير، وبيان باطن يتوصل إليه بالقياس والنظر والاستدلال والخبر[3].

وعرف ابن وهب الجدل وهو عنده: "تردُّد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه"[4]، فمهمَّة المحاجج إظهار رأيِّه بأسلوب يجعل المتلقي يتقبله، والتقليل من شأن الرأي الآخر.

وبذلك يمكن اعتبار كلام ابن وهب هذا بداية للتنظير في موضوع الحجاج وشروطه وهو شيء جديد في التراث العربي، لم يسبقه إليه حتى الجاحظ نفسه، لأنه انتقل من ممارسة الحجاج باعتباره خطيبا إلى وضع أسس تضبط الممارسة الحجاجية وتصفها و تقنّنها.

---

[1]- إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، ص 176.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص 76.

[3]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط01، 2013، ص ص65،86،92.

[4]- سليمان الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، 1980،ص19

ج – الحجاج عند أبي الوليد الباجي(ت474هـ): الذي عنون كتابه "**سبيل المنهاج في ترتيب الحجاج**" وهو من علماء أصول الفقه مستخدما في العنوان لفظ الحجاج، لكنَّه ينعته في المقدمة بكونه كتابا في الجدل، وهو ما يعني أنَّ الحجاج مرادف للجدل[1]، في مفهومه، فأبو الوليد الباجي قد أورد الحجاج والجدل بصفتها لفظين مترادفين، تماشيا مع ما ورد في الثقافة والتراث العربي.

وهو يرى أن فن الجدل استمد من الكتاب والسنة ومناظرة الصحابة فيقول: "فمن جهة العقل يذكر بأن الله قد نصر مُتّبعَ الحق، ودحض مبتدع الباطل، فبين لذلك الأدلة على ألسنة الرسل وأظهر الأعلام على أوضح السبل، فمن الطبيعي أن يتدارس أولوا الأبصار والألباب هذه الأدلة. ويتعرفوا على هذه الأعلام، حتى يتوصلوا إلى نهج الصواب و يدرؤوا الشبهات." [2]

وعلى هذا الأساس قام بتأليف كتابه في الجدل وقد لمح في مقدمة كتابه إلى الترادف بين الحجاج والجدل في الثقافة العربية الإسلامية، وهو ما نجده أيضا في كتاب "البرهان في علوم القرآن" للزركشي، وكتاب" الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي، في الفصل الذي عقداه لـ "جدل القرآن" إذ نجد أنهما يستخدمان في المتن ألفاظا من قبيل :"المحاجة، الحجاج، الاحتجاج " على أنها مرادفة للفظة الجدل.

في حين نجد أن الحجاج أعم من الجدل، فيكون كل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدل، لأن الجدل حيزه ومداره المناقشة النظرية المحضة التي تسعى غالبا إلى التأثير العقلي، في حين أن الحجاج موجه إلى الجمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات مثل (الوعظ، والإرشاد، والتعليم، والتوجيه...) وهو لا يسعى إلى التأثير العقلي فحسب بل إلى التأثير العاطفي عن طريق استثارة المشاعر و الانفعالات.

---

[1]– ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 12.

[2]– ينظر: سليمان أبو الوليد الباجي، المرجع السابق ، ص 22.

5 – الحجاج عند المحدثين

أ–عند الغرب المحدثين

لقد عادت الدراسات الحجاجية إلى الظهور بفضل مجموعة من الباحثين الغربيين أمثال: **برلمان و تيتيكا وديكرو و انسكومبر** وغيرهم، وذلك من خلال أعمالهم التي تعد مساهمة فعالة في بناء صرح النظريَّة الحجاجيَّة المعاصرة، والبلاغة الجديدة.

- **نظرية الحجاج عند برلمان**

كانت بلاغة الإقناع قد عرفت قرونا من الركود والإهمال، إلا أنّ الرجوع الكبير لهذه البلاغة مدين تاريخيا لظهور "مصنف في الحجاج" أو (traire de l'argumentation) **لبريلمان و تيتيكا**، سنة 1958 وهو "المعجم الحقيق المجمل لكل أشكال الحجج وتأثيرها"[1] ويعد الباحث جورج فينو مشروع بيرلمان في إحياء بلاغة الإقناع إلى عوامل سياسية ارتبطت بتأثره الشديد[2] .

فقد قدَّم **برلمان** وزميلته **تيتيكا** في مؤلَّفِهما هذا وفي البلاغة الجديدة (La novelle théorique) أهداف دراسة وسائل التأثير في المخاطبين بمختلف مستوياتهم، وقد نبَّها إلى أنَّ أغلبيَّة العناصر الأسلوبيَّة –من شرط وتأكيد وعناصر بلاغيَّة وأدوات ربط وعطف– كل هذه الموجهات التعبيريَّة لها دور حجاجي كبير[3].

ويعرِّفان موضوع الحجاج بقولهما أنَّه :"درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم"[4].

وقد قام الباحثان بالتركيز على مختلف التفاعلات الحجاجية لقراءة ما جاءت به البلاغة وذلك ضمن المنطق والشعر والفلسفة، وهي بذلك نظرة جديدة للحجاج فنحن نرمي من خلاله إلى الإقناع والتأثير.

---

[1] – ينظر: نعمان بوقرة ، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، عدد407 ، 2005 ، ص 01 .

[2] – و الأمر متعلق بالإبادة الجماعية التي تعرض لها الشعب اليهودي خلال الحرب العالمية الثانية والتي كانت نتيجة خطاب أودولف هتلر مما جعل بيرلمان يقتنع بأن "الكلام غير المنضبط والكلام المستند إلى المنطق قد يقودان إلى لاعقل . ينظر : نعمان بوقرة ، المرجع نفسه ، ص 8 .

[3]– ينظر: محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 106-107-116.

[4]– عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتيكا، ضمن كتاب نظرية الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 299.

والحجاج بالنسبة لهما هو التأثير في العقول وجعلها تسلم بما تتلقاه من أطروحات، وهي غاية الحجاج عندهما. وقد انطلقا في تعريفهما للحجاج من صناعة الجدل من ناحية، وصناعة الخطابة من ناحية أخرى، وحرصا على أن يكون الحجاج مفارقا لهما رغم اتصاله بهما، وكان هدفهما هو إخراج الحجاج من سيطرة الخطابة والجدل وإعادة صياغة مفهوم الحجاج[1].

وقد حاولا ربط الحجاج بالحوار والحرية والعقل؛ "فالحجاج عندما معقولية وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم رأيٌّ آخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول، اللَّذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللَّذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره"[2].

فمذهبهما في الحجاج هو منح الحرية التامة للمتلقي في التفكير ليختار بنفسه الحقيقة التي يراها هو، شرط أن تكون معقولة ومنطقيه، وعلى المحاجج أن يستخدم الذكاء في خطابه لإقناع المستمعين.

- **الحجاج عند اوزفالد ديكرو وجون انسكومبر**(Decro et Anscomber):

يعد ديكرو من المنظرين المعاصرين للحجاج، وذلك من خلال نظريَّته "**الحجاج في اللغة**" (1973) وقد انطلق من تأكيد الأبعاد التداوليَّة والدلاليَّة الكامنة في اللغة التواصليَّة اليوميَّة، وكذا اللغة الإبداعيَّة، لأنَّ اللُّغة في معناها العام "قَيدٌ" يضبط نسق الأقوال وترابطها، ويقصد **ديكرو** هنا أنَّ "الحجاج باللُّغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججٌ تُدعِّم وتثبِّت بعضها الآخر"[3]. فالحجاج عنده ليس إلا متواليات من الأقوال، قد تتفاوت في قوتها التأثيريَّة و الإقناعية.

ويرى **ديكرو** أنَّ اللُّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها[4] . و بالتالي جعل الحجاج محورا مهما في البحث اللساني التداولي، إذ تناوله بمنظور جديد مرتبط بوظائف استعمال اللغة.

- **الحجاج عند ميشال مايير**

---

[1]– ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،2011 ص 21.

[2]– حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 298.

[3]– سامية الدريدي، المرجع نفسه ، ص 23.

[4]– أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج ،العمدة في الطبع، الدار البيضاء ، المملكة المغربية،ط1، 2006، ص 14.

انطلق **مايير** من خلال حديثه عن الحجاج من فلسفته الأبستمولوجيا، فهو يرى أنَّ الحجاج مرتبط ارتباطا وثيقا بالحوار، وتلك التساؤلات التي تدفع إلى الحجاج، ويؤكد أنَّ الحجاج يشمل جميع ضروب الخطابات والنصوص الشفويَّة والمكتوبة، التي تجبر المخاطَبين على تبني مواقف معينة، وتبعث روح الاجتهاد في المحاججين وذلك بطرح قضاياهم وتساؤلاتهم [1] ، فالكلام حسبه هو تواصل قائم على الحجاج، لأنه يسعى إلى الإقناع والتأثير في الآخرين.

فهو يعرف الحجاج بأنَّه: "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام و ضمنّيته" [2] ، ويقسمه نوعين: صريح وضمنِّي[3]، لأن الكلام في حد ذاته ينقسم إلى قسمين: صنف يتعلق بالمتكلم (وهو النصف المصَّرح به) وصنف آخر يتعلق بالسامع (وهو النصف الضمنِّي). وبالتالي يلتقي مع برلمان، في انطلاقه من الطابع الإشكالي التساؤلي الذي يأتي على شكل ثنائية (سؤال وجواب). ويشترط أنْ يكون طريفا، ومصدر تشويق ومتعة تدعو المخاطب إلى البحث عن دلالاتها و تؤيد الحجج مضمون الفرضيات.

* **الحجاج عند تولمن** (tolman) (**ت**1959): لقد رفض **تولمن** الفصل بين الحجاج والمنطق، وحجَّته في ذلك أنَّ الحجاج ينمو جنبًا إلى جنب مع المنطق، فالمنطق عند تولمان مرجع كل الحجج [4] .

ويتضح من خلال وصفه لاستعمالات الحجَّة، وأركانها الأساسية، وهي: المعطى والنتيجة، والضمان، والذي يكون ضمنيًا[(5)]، عنصر الاستثناء، وعنصر الأساس الذي يقوم عليه الضمان.

ب- عند العرب المحدثين

---

[1]- ينظر: محمد سالم الطبلة، الحجاج في البلاغة المعاصر، ص 133-135.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 37.

[3] - المرجع نفسه ، ص 38

[4]-كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، ص 35.

[5]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 23-25.

أما في الدراسات المعاصرة فقد اعتنى الباحثون العرب عناية كبرى بالحجاج ووضعت له ضوابط وتقنيات للسياقات التي تستعمل فيها العملية الحجاجية.

فجاءت الجهود على شكل كتب ومقالات مزجت بين الموروث القديم، والأطروحات الحديثة المعاصرة، فطه عبد الرحمان بنى أعماله على المزاوجة بين القديم العربي والحديث الغربي، ويظهر ذلك من خلال كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام "، كما عقد بابا في كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي " تحت اسم:" الخطاب والحجاج ".

فعرض فيه أصناف الحجاج وأنواع الحجج وكان تركيزه على السلم الحجاجي وأكد على أنه لا خطاب بغير حجاج[1].

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب الدراسات العربية المعاصرة اعتمدت بشكل مباشر على ترجمة النظريات الغربية، واستثمارها وتأتي في مقدمة هذه الأعمال كتاب "أهم نظريات الحجاج على التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " لمجموعة من الأساتذة تحت إشراف حمادي صمود إذ جمعت فيه النظريات الحجاجية وهي "الحجاج عند أرسطو" و"الحجاج منطلقاته وتقنياته" من خلال مصنف في الحجاجة لبريلمان وزميله تيتكا و"نظرية الحجاج في اللغة" لوصف أعمال ديكرو و"البلاغة والحجاج" من خلال نظرية المساءلة عند مَايير والأساليب المغالطة في الحجاج[2].

ليأتي حافظ إسماعيل العلوي الذي أعد وقدم" الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة" في خمسة مصنفات شارك فيه مجموعة من الباحثين حيث جمعوا فيه كل ما تعلق بالمباحث الحجاجية بدءاً بتعريفاتها وتفريعاتها ومدارسها واتجاهاتها ومرورا بتقطيعاتها وتجاورها مع تخصصات أخرى. كما أسهم كل من محمد العمري و أبو بكر العزاوي في هذا المجال بمؤلفات منها: "تطبيق نظرية الإقناع عند أرسطو" لمحمد العمري و"اللغة والحجاج" "والخطاب والحجاج" و"التواصل والحجاج" لأبي بكر العزاوي.

إذ ركز هذا الأخير على ما يمنحه المرسل من سلطة في السياق على اعتبار أن وظيفة الحجاج هي وظيفة اللغة الأولى معتمداً توظيف السلم الحجاجي في تحليله للخطاب.

---

[1] – طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي الاسلامي ، المغرب ، ط 1 ، 1998 ، ص 213 .

[2] – ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهم النظريات الحجاجية في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 92

وهو ما وجدناه أيضا في إسهامات عبد اللطيف عادل حين كتب "بلاغة الإقناع في المناظرة" وناقش في فحواه البلاغة الاقناعية عند الغرب وأفلاطون وفي التراث العربي ليفصل في الحجاج عند الغربيين المحدثين وعند العرب معتمدا على القرائن الحجاجية والعلاقات وأهمية السلالم الحجاجية.

وإن دلت هذه الدراسات العربية فإنما تدل على العودة القوية للدرس العربي في مجال التداولية والحجاج، رغم غلبة منهج النقل والترجمة عليه، وقد مس مختلف مجالات الخطاب وأنواعه، السياسي والديني والإصلاحي والأدبي، وغير ذلك.

على اعتبار أن اللغة حجاجية فإن الخطاب الوعظي يكتسب هذه الميزة نظرا لغرضه المتمثل في حتمية التأثير في المتلقي انطلاقا من ضرورة الاصلاح والإرشاد .

II- ماهية علم الوعظ و مبادئه

يقول عز وجل في كتابه: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَكَ هُو أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل، الآية 125].هي إذاً دعوة إلى اتباع سبيل الخالق بتليين القلوب، وأعظم ما يلين القلوب أوامر الخالق ونواهيه، فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله في الثواب لامتثاله، وإذا سمعوا النّهي خافوا من سخط الله من عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في امتنانه، فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطّاعة خوفاً وطمعاً.[1]

ويذكر الدكتور حمد ناصر العمار أن هناك علاقة بين الموعظة والدعوة، فيقول: "إن الموعظة إحدى تطبيقات الدعوة وممارساتها العملية، فالموعظة جزء من الدعوة"[2]، فالوعظ إذًا أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، ولا يستغنى عنه بحال من الأحوال، وقد كان الوعظ جزءا من مهمة الأنبياء والمرسلين.

و من هنا فإن الوعظ متأصل في جميع الديانات السماوية، فنجد المسيحية تركز على فن الوعظ بوصفه وسيلة للإرشاد و الإصلاح، فيرى بولس يازجي أنّ الوعظ يشكل جزءا عضويا في القداس

---

[1]- محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1995، ج2، ص:438.

[2]- حمد ناصر العمار ، آيات الدعوة في القرآن الكريم، دار كنور اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية،ط2004،1،ص29

و ليس إضافيا فالقسم الأول من القداس هو "قداس الكلمة" ،و يحتوي على القراءات و الوعظ ،و هو يهيئنا لقداس الشكر و رفع الذبيحة"[1] كما يحدد الزمن المناسب للعظة بقوله:"و الزمن الأفضل للعظة هو بعد القراءات مباشرة و خاصة إذا كانت العظة متعلقة بالإنجيل، و هناك يكون دور الوعظ كجزء للتهيئة ضمن القسم التعليمي "قداس الموعوظين"[2]. فهنا نجد أنّ الوعظ مرتبط بالديانات السماوية غره في جميعها النصح و الإرشاد و التذكير.

1- تعريف علم الوعظ

أ- الوعظ لغة

"قال الخليل معرفا الوعظ: هو التذكير بالخير، وما يرقُّ له القلب..." ، ويقول ابن فارس: "وعظ (الواو والعين والظاء) كلمة واحدة فالوعظ: التخويف والعظة الاسم مِنْهُ".، فهو إذًا عنده تذكير وتخويف." [3]

أما ابن منظور فيعرفه بقوله: "وعظ: الوَعْظُ والعِظَةُ والعَظَةُ والمَوْعِظَةُ: النصح والتذكير بالعواقب؛ قال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يُلَيِّنُ قلبه من ثواب وعقاب وفي الحديث: "لأجعلنَّكَ عظةً" أي: موعظة وعبرة لغيرك، والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة، وفي التنزيل: فمن جاءه موعظة من ربه، لم يجئ بعلامة التأنيث لأنّه غير حقيقي ولأنّ الموعظة في معنى الوعظ حتى كأنّه قال"، فمن جاءه وعظ من ربه، وقد وعظه وعظًا وعظة، واتعظ.."[4]، فالوعظ إذاً عنده نصح وتذكير بالعواقب، كما أنّه الحجج الناهية عن اقتحام الحرمات.وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَعِظُكُم لَعَلَكُمْ تَذَّكَرُون﴾[النحل، الآية90]. وقال: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾[سبأ، الآية 46]، وقال: ﴿كَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وتَفْصِيلَا﴾[الأعراف، الآية145]"[5].

ومن خلال ما تقدم من التعريفات في اللغة يظهر أن الوعظ هو: النصح والإرشاد، وترقيق للقلب والطبع، ويكون ذلك بالتذكير والتخويف من العواقب.

---

[1]- كامل كيلاني، الوعظ القصصي، دار الكتاب، بيروت، لبنان، 2001، ص66

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- زايد أحمد محمد، علم الوعظ تأصيله وفقهه عند الامام ابن الجوزي، جامعة الأزهر، القاهرة، 2010، ص 13 .

[4]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (و ع ظ)، ج2، ص 126

[5]- زايد أحمد محمد، علم الوعظ تأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي، ص14.

ب – الوعظ اصطلاحا

لقد عرف صديق حسن خان الوعظ بقوله: "علم يعرف ما هو سبب الانزجار عن المنهيات و الامتثال إلى المأمورات من الأمور الخطابية لطباع عامة الناس". وقال الشوكاني: "الموعظة الحسنة هي المقالة المشتملة على ما يستحسنه السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها، وقال أيضًا: الموعظة الحسنة هي الحجج اللفظية الإقناعية الموجهة للتصديق بمقدمات مقبولة "[1].

ويقول البيضاوي: "الموعظة هي الخطابات المقنعة، والعبر النافعة، فالأولى لدعوة خواص الأمة للحقائق والثانية لدعوة عوامهم"[2].

ويرى محمد رشيد رضا أن علم الوعظ هو "الوصية بالحق والخير واجتناب الباطل والشّر بأساليب الترغيب والترهيب التي يرق لها القلب فتبعث على الفعل و التّرك"[3].

ويتضح من خلال ما سبق أنّ دعوة النّاس تكون على قدر عقولهم ومستوياتهم بالكلمات الواضحةوالعبر النافعة المقنعة.

لقد وردت عدة تعريفات لعلم الوعظ لكنها لا تفرق بين الوعظ والموعظة، فيرى البعض أنّ الوعظ نصح وتعليم كالوصية، وهي التي تلي الدعوة بعد قبولها، فيما يرى البعض الآخر استنادًا لما ورد في القرآن الكريم من آيات تتحدث عن الموعظة، أنّها تركز على كون الوعظ إنّما يكون بالدرجة الثانية من الدعوة، فلا يوعظ الكافر إنّما يدعى للإسلام، فإذا أسلم وحسن إسلامه وعظ وانتفع بالموعظة[4].

فيما يرى فريق آخر أنّ الموعظة توجه إلى الجميع مسلمهم وكافرهم، إلاّ أنّ الانتفاع بها للمؤمنين فقط، لأن الله تعالى قال:﴿وَذَكِّرْ فَإِنّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المؤمنينَ﴾ [الذاريات، الآية55]"[5].

---

[1]- حمد بن ناصر العمار، آيات الدعوة في القرآن الكريم، ص27

[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[3]- محمد رشيد علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، مصر،1990، ص328

[4]- محمد رشيد علي رضا، المرجع السابق،ص308

[5]- المرجع نفسه ، ص 309

وعليه فمن التعريفات السابقة يظهر الفرق علم الوعظ والموعظة التي هي مادة هذا العلم، وبضاعة الواعظ، لذا وجب التفريق بينهما، فعلم الوعظ هو العلم الذي يدرس كيفية إيصال الموعظة ويبحث في أسباب الزجر عن المنهيات والأخذ بالمأمورات.

أما الموعظة فهي مادة علم الوعظ وبضاعة الواعظ وهي التّذكير[1] القولي المستحسن لدى السامع مشتمل على ما يرقق القلب بترغيب وترهيب دنيوي و آخروي.

2 – مبادئ علم الوعظ

جرت عادة العلماء عند تصنيف العلوم أن يبدؤوا بتناول المقدمات بين يدي كل فن منها، وهذه المقدمات هي المبادئ العشرة المعروفة لكل علم وهي منظومة عند بعضهم بقوله:

إنّ مبادئ كل فـــن عشرة الحدّ والموضـــــوع ثم الثمرة.

ونسبة وفضلـــــه وواضع والاسم لاستمداد حُكْمُ الشارع

مسائل البعض بالبعض اكتفى ومن دري الجميع حاز الشرف[2]

فحدّ علم الوعظ هو التعريف به تعريفاً جامعاً وهو العلم الذي يعرف به سبب الانزجار عن المنهيات والامتثال إلى المأمورات من الأمور الخطابية المناسبة لطباع عامة الناس.[3]

وموضوعه: المواعظ والرقاق أو الأمر والنهي المقرونين بالترغيب والتّرهيب.

واستمداده: كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقاويل الصحابة، والتابعين وغيرهم من صالح المؤمنين.

وأسماؤه: يطلق على هذا العلم: الوعظ، والموعظة، التذكير والنصح، الارشاد وعلم الرقائق والقصص والتبشير والتّرغيب و التّرهيب.

وحكمه: فرض كفاية يجب أن تتوفر عليه طائفة لتحقيق التكليف الشرعي المأمور به في القرآن الكريم أين قال عزّ وجل: ﴿وَلتَكُنْ منْكُمْ أمّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْر ويَأْمُرونَ بالمعْرُوف ويَنْهَوْن عَن المنْكَر وَأُولَئكَ هُم المفْلحُون﴾[آل عمران، الآية33].

---

[1]- زايد أحمد محمد، علم الوعظ تأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي، ص10

[2]- محمد رشيد علي رضا ، المرجع السابق ، ص 309

[3] – زايد أحمد محمد ، المرجع السابق ، ص11

الواضع: واضعه الامام ابن الجوزي رحمه الله المتوفي سنة597 هـ[1].

نسبته: إنه علم وثيق الصلة بالمصادر الاسلامية القرآن والسنة وسائر الاسلام، فهو علم ديني حيث لا يستغن الداعي إلى الله، وهو يمارسه عن التزود بنصوص الوحي، وآثار الصالحين وقصصهم، وحكم السالكين وسلوكهم، مما يرقق القلب ويهذب النفس.

غايته وثمرته: له أعظم الثمار وعظيم الفوائد فغايته تحقيق تنمية روحية للمؤمن، بنقله من حال الغفلة إلى حال الذكرى أو بترقيته إلى مدارج الايمان تذكرة وتربية، ومن هنا ارتبط مصطلح الوعظ في القرآن بهذه الغاية تصريحا، كما في قوله تعالى: ﴿**ذَلكَ يُوعَظُ به مَنْ كَانَ منْكُم يُؤمنُ بالله وَاليَوم الآخر، ذَلكُمْ أَزْكى لَكُم وأَطْهَر وَالله يَعْلَمُ وَأَنْتُم لَا تَعلَمُون**﴾[البقرة، الآية232].

وقوله أيضا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتكم مَوْعظَة منْ رَبكُم وَشفَاءٌ لمَا في الصُّدُور وَهُدى وَرَحمَة للمُؤْمنين**﴾ [يونس الآية57].

وثمرة الوعظ: شفاء الصدور من كل خمول عن أوامر الشرع، وتكامل ومرض ووسوسة من الشيطان وهداية إلى طريق الجّنة والفلاح ورحمة من الله ومغفرة لكل مؤمن.

فالوعظ إذا مستمد من منهج القرآن والحديث الشريف، فهو يستمد منهما المواعظ والحجج.

3- أغراض المواعظ و أهميتها

إنّ قيام الواعظ بممارسة الوعظ، إنّما هو اتباع لمنهج الأنبياء والمرسلين- عليهم الصلاة والسلام- واقتفاء لآثارهم والتزام بسبب لهم، فإن الوعظ من الأبواب العظيمة في مقام الدّعوة إلى الله، والخلق بحاجة ماسة إليه لكثرة انشغالهم بالدنيا وإقبالهم عليها، وقسوة قلوبهم وإعراضهم عن الآخرة، ويعرض لهم من فتور وضعف في الايمان، وتفريط فيما فرضه الله عليهم وجهلهم لشرائع الدين.

يقول ابن الجوزي رحمه الله وطيّب ثراه في موعظة بعنوان: "أفق يا سابحاً في بحار الغمرات" :"**يا هذا إلى كم أنت بالملاهي لاهي، تطع حين أسرفت في المناهي ناهي، أفق أيّها السابح في بحار الغمرات، واستدرك وقتك قبل انصرام الأوقات، فما من حسن الأخلاق أن تكون ثياب**

[1]- زايد أحمد محمد ، المرجع السابق ، ص 12

أعمالك أخلاق* إلى كم أزجرك وأنت لا تنزجر، أرادني فما أزادني ولا أغمض عن المحارم أجفاني فما أجفاني.

شعـر:

وقبل شخوص* المرء يجمع زاده وتملأ من قبل اللّقاء الكنائن.

حصادك يوماً ما زرعت وإنّما يدان المرء يوماً بما هو دائن.

يا عليل الأنام لما لا تلزم جنات طبيبك، يا صريع الغرام لما لا تقرع باب حبيبك أما رفع لك الحجاب، أما ضمن لك المتاب، أما سمعت قوله:﴿ وَإِني لَغَفَارٌ لمَنْ تَاب﴾[طه، الآية8]."[1]

وتبرز أهمية الوعظ من خلال:

– أن الواعظ يذكر الناس بالله تعالى، ويحي القلوب بذكره ويبصرهم بمواطن الخلل في نفوسهم، ويحررهم من رقّ الشيطان والتّعلق بالدنيا، فهو أوْلى النّاس بالبعد عن الدّنيا والزهد فيها والاقبال على الآخرة، وما يحبب فيها، قال الفضيل بن عياض رحمه الله "إنّي لأرحم ثلاثة: عزيز قومٍ ذلَّ وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا"[2]

– زجر العاصي، وتذكير الغافل باستعمال ما جاء في كتاب الله وسنّة رسوله وقصص السابقين و أخبار السلف من الأنبياء والمرسلين والصالحين.

– تبصير الناس بشرائع الإسلام وحدوده وترغيبهم في إقامة أوامره وفرائضه، وترك نواهيه.

– كشف مكائد الشيطان وأعوانه من الإنس والجان وجهودهم في إغواء الأمة وإخفاء نور الملة.

– تثبيت المهتدي بالله، وتحفيزه على زيادة ايمانه بترغيبه في الآخرة وحسن الخاتمة وترهيبه من الزّلات ومهلكات الايمان.

أمّا عن أهمية الوعظ عند الامام ابن الجوزي فقد بيّنها أوفى ما يكون البيان فقال: "أمّا من حيث النقل فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَعظُكُمْا للهُ﴾ [النور،الآية17]. وقال لنبيّه: ﴿وَعِظْهُم﴾ [النساء، الآية 63] وقال: ﴿فَاقْصُصِ القَصَصَ﴾ [الأعراف، الآية 186].

---

* أخلاق :من الخلق وهي البالية. ينظر : ابن الجوزي ، المواعظ و المجالس ،ص 288

* شخوص: الشخص: فتح العينين بلا طرف، وهي كناية عن لحظة الاحتضار ينظر: ابن الجوزي، المرجع نفسه ،ص288

[1]– المرجع نفسه ، ص 289

[2]– أبو حامد محمد الغزالي ، احياء علوم الدين ،دار المعرفة، بيروت ، ط1،ص ص60.59.

وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِكْرَى تَنْفَعُ المؤْمِنِينَ﴾ [الذارياتالآية551]"[1]، ثمّ بيّن أنّ الوعظ كان من بين أعمال النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان عليه الصلاة والسلام يعظ أصحابه ويذكرهم و يتخولهم بالموعظة ويبالغ في التخويف كأنّه منذر جيش، وكان عليه الصلاة والسلام يعظ النساء[2].

وأورد ابن الجوزي أثراً عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "ما تصدق مؤمن قطّ بصدقة أحب إلى الله – عزّ وجلّ – من موعظة يعظ بها قوماً فيفترقون قد نفعهم الله بها"[3]. وساق رحمه الله من الأدلة الكثيرة ليبين فضل وأهمية الوعظ و كيف ارتضاه القرآن وجعله أحد أساليبه في الدّعوة إلى الله تعالى، ثم كيف قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أتم وجه وأوفاه، فيقول الامام ابن الجوزي: "اعلم أنّ الطباع لما خلقت مائلة إلى حبّ الشهوات المردية، والبطالة المؤذية، افتقرت إلى مقوم ومثقف، ومحذر يرد، فه يفيض رب المثل كالماء يجري بطبعه، فإذا رد بسكر وقف عن جريانه ثم أخذ يعمل في فتح طريق، فكما ينبغي أن يتعاهد ذلك السكر بالأحكام فكذلك ينبغي أن تتعاهد الطباع بالزواجر، ولا ينبغي أن يطول أمد التعاهد، فإن عملا لماء في باطن السكر دائم وإن خفي، وكذلك الطباع في ميلها إلى ما يؤذيها، ولهذا بعث الله الأنبياء بالترغيب والترهيب، وأنزلت عليهم الكتب للتثقيف والتأديب فمازالوا مبشرين ومنذرين، ثم خلفهم العلماء، وقد كان العلماء كلهم يذكرون بفتاويهم وعلمهم، غير أن القصاص والوعاظ ترسموا بهذا الأمر لخطاب العوام، فالعوام ينتفعون بهم ما لا ينتفعون بالعالم الكبير إلاّ أنّه دخلت على بعضهم آفات.

وقد أكد ابن الجوزي –رحمه الله– على فضل الواعظ ومدى الحاجة إليه وضرورة احترامه وتوقيره حيث يقول :" ولا ينبغي أن يحتقر أمر الواعظ، فإنّه إذا كان كامل العلم، صادق القصد عمّ نفعه، واجتلب إلى باب الله عدداً زائداً على الحدّ ما لا يقدر على اجتلابه عشر عشيرة فقيه، ولا محدث ولا قارئ، لأن خطابه بالوعظ للعام والخاص وخصوصا العوام الذين لا يَلْقُونَ فقيهاً إلاّ في كل مدة . فيسألونه عن كلمة، وهذا الواعظ كالرائض لهم يثقفهم ويقومهم ويؤدبهم"[4].

---

[1]– ابن الجوزي ، القصاص و المذكرين ،ص 171.

[2]– المرجع نفسه ، ص 172

[3]– المرجع نفسه ، ص 174

[4]– ابن الجوزي، المدهش ، ص 55

وقد ثبت عن الإمام البقاعي في بيان مدى الحاجة إلى الموعظة قوله:" و لكن الانسان لما جبل عليه من النقصان لابد له من ترهيب يشدّه وترغيب يردّه، ومواعظ ترفقه وأعماله تصدّقه وأخلاق تحققه.... والأحكام تفيد الأعمال الصالحة فترفع أستار العفة في عيون القلب وتكسب الأخلاق الفاضلة لتصقل الصّدأ عن مرائي النفوس، فتتجلى فيها حقائق التوحيد، والقصص تلزم بمواعظها واعتباراتها بالأحكام وتقرر دلائل المعارف فيرسخ التّوحيد"[1].

وعليه نقول أنّه لا تخفى أهمية الوعظ بالنسبة للإنسان فهو محرك للمهمة ومنشط للعزيمة ودافع للسير في طريق الله تعالى وفيه تنبيه الغافل وتذكير النّاسي وتنشيط الكسول، وتقويم المعوج به تلين القلوب بعد قسوة وتدمع العيون بعد جفاف، وترق الأفئدة، كم من عاص تاب بموعظة وكم من ضال اهتدى بتذكّره، إنّه طريق القرآن إلى القلوب وعمل الأنبياء في النفوس.

III- خصائص الخطاب الحجاجي الوعظي

يتميز الخطاب الحجاجي بخصائص بنائية وتواصلية مما تجعله مختلفا عن غيره من الخطابات الأخرى، السردية ، الحكائية، والإخبارية، وغيرها؛ فطريقة بنائه، وأسلوبه، واستدلاله وخضوعه لشروط القول والتلقي كلها تعطيه صفة التميز.

أضف إلى ذلك انتماء الخطاب الحجاجي إلى المجال التداولي الذي يركز على عناصر مثل: من يتكلم، وإلى من يوجه الخطاب، وماذا يقصد بكلامه هذا؟ التي تقتضي الإجابة عليها استحضار مقاصد المتكلم، والأفعال الكلامية بأبعادها السياقية والتداولية و الحجاجية .

فالخطاب الوعظي هو خطاب حجاجي بامتياز، وما يسوغ القول بحجاجيته هو أنه خطاب يقتضي الإقناع والتأثير، ويستعمل فيه الوعظ مجموعة من الوسائل والحجج، كالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكذلك القصص التي تحوي أخبار السلف وتحمل تجاربهم، وعلى حد قول بنفنست(Benveniste) "الخطاب في أعظم مفاهيمه كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توفر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع"[2].

---

[1]- برهان الدين البقاعي ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، تح: محمد عبد الحميد، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، مصر، ج4، ص 28.

[2] - مجاهد محمود أحمد ناصر ، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل و الحجة ، إشراف : محمد سميح الخالدي، جامعة نابلس فلسطين ، 2003 . ص 55

فالخطاب الوعظي يتوافر على الآليات الحجاجية التي تتميز بمجموعة من الطرائق التي تتفاعل فيما بينها، قصد التعبير والتأثير في المتلقي بهدف الإقناع والإذعان تارةً وإلى الاستمالة والتأثير العاطفي بأساليب الترغيب والترهيب تارةً أخرى .

1- خاصية الدينامية النفسية والاستمالة العاطفية

يعتبر العامل السيكولوجي النقطة الأساس التي تعتمد عليها هذه الخاصية، وذلك قصد إحداث عملية الإقناع والتأثير في سلوك الفرد، بواسطة استمالته وإثارة الجوانب الانفعالية والعاطفية فيه، وتعتمد هذه الخاصية على تحديد مجموعة خطية من المفاهيم، والتيّ يعبر عنها بالحجاجات النفسية، والدوافع والمعتقدات والمصالح، وتحديد أسباب القلق والمخاوف والقيم والآراء والمواقف[1]

وتعد هذه العناصر البوابة الرئيسية لفهم أعمق لعملية الإقناع والتأثير.

فالحجاج يهتم باستراتيجية الخطاب الهادف إلى الاستمالة وذلك قصد إحداث التأثير في المتلقي بالمقومات اللسانية والسياقية التي تتوافر في المتكلم من أجل توجيه كلامه للوصول إلى بعض المقاصد الحجاجية، ومن أهم وسائل الاستمالة التي جاء بها أرسطو نذكر:

الأخلاق: وهي مجموعة الصفات والخصال المتصلة بالمخاطب، والمؤدية إلى تحديد الثقة في المتلقيّ، ويعبر عنها **بالايتوس** (Ethos) وهو ما نجده ضروري التوفر في مميزات الواعظ التي سنتعرض لها في المراحل القادمة من الرسالة .

التأثير في الآخر: وهو ما ينبغي أن يثيره المخاطب في المتلقي من مشاعر وأحاسيس وانفعالات، تحقق إقناعه، وتسليمه في الأخير بمحتوى الخطاب أو الرسالة المطروحة ويعبر عنه بالباتوس (Pathos)[2] ويظهر ذلك في قدرات الواعظ على استعمال أكثر الحجج إقناعا مثلما فعله ابن الجوزي باستعماله أساليب الترغيب والترهيب حسب موضوع كل موعظة .

---

[1] – ينظر : مصباح عامر ، الإقناع الاجتماعي، خلفياته النظرية، آلياته الاجتماعية، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 2006 ، ص 51 .

[2] – محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، دار إفريقيا الشرق، المغرب 2002، ط 2، ص 97 .

الخطاب/الرسالة: هي العملية الاستدلالية داخل الخطاب، والتي يلعب فيها الأداء اللغوي دورا حاسما على تحقيق هذه الاستمالة ويعبر عنها باللوغوس (Logos)[1].

ويرى أرسطو أنّ عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم، فهم بحاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة، فالحجاج يعمد إلى التأثير في القلب، والفعل في الوجدان والعقل على حد سواء، إنه يدرك الملكات ليكون تأثيره ناجعا، وفعله تاما.

إن فن المواعظ طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان، فهو يهز وجدانه ويرهف أحاسيسه ومشاعره، ويوقظ إدراكه وتفكيره، ويجلي بصيرته، فالإنسان بعد سماعه لموعظة وتؤثر فيه يصبح إنسانا جديدا، وكأنه خلق خلقاً جديداً، وهذا يعني أن الموعظة إذ استوفت شروطَ الإقناع حملت في ثناياها إقناعيه تهدف إلى استمالة عواطف المتلقي والتأثير في أفكاره وسلوكه.

عن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع..."[2].

والمتتبع للحجاج في الأسلوب الوعظي يجد أنه يتميز بميزة استمالة النفوس أولاً، والتأثير في القلوب ثانيا، دون التغلغل في التدقيقات والجزئيات التي لا يفهمها غالبية الناس، فنجد الواعظ يجعل السامع يتأمل في ملكوت السموات والأرض، يدرك وحدانية خالقه، يرسخ ما جاء في تشريعه يصحح أخطاء وزلات نفسه، فيتخذ الواعظ الحجة القرآنية منهجا له، والتعاليم النبوية طريقا يسيرا عليه، وقصص الأولين وأخبار الزهاد دعمًا لحججه، وأشعار الشعراء حججا مساندة له، من شأنها التأثير في النفوس واستمالة العواطف .

ففي مواعظ "**ابن الجوزي**" (**ت 597هـ**) نجد الترغيب والترهيب ضمن هذه الخاصية، وهي كثيرة ومقصدها الزجر من ارتكاب المحظور، أو الحث على امتثال للمأمور، وغاية الكلّ صلاح الفرد وفوزه بالجنة، ونجاته من النّار.

---

[1] – محمد العمري المرجع السابق ، ص 98 .

[2]– حمد الصالح العثمنين ، شرح الاربعين النووية ، دار الثرية للنشر و التوزيع ، الرياض، ط3، 2004، ص 304.

ومن ذلك ما ورد في موعظة "تفكر بالآخرة" من الفصل الثاني عشر، حيث يقول: "**اسمع يا عظيم الاغتباط ،يا كثير الانبساط، أما تخاف عواقب هذا الإفراط؟! مُؤّثراً الفاني على الباقي غلطت، لا كالأغلاط، أيعجبك ثوب الصحة ؟! كلاَّ ثوبُ البلا يخاط، أي من سلف من الأولين و الآخرين، أين أبوك آدم صفوة ربّ العالمين، أين محمّد سيد المرسلين، أين الأمم الماضية، أين القرون الخالية، أين الذين ملأوا بين الخافقين فخرا وعزّا، أين الذين فرشوا القصور خزّا وقزّا، أين الذين ارتجت بهم الأرض جفاّ وهزّاً ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾[سورة مريم، الآية 98.] أهلكهم الله مهلك الأمم و مبيدها وأفناها مفني الأمم ومعيدها، فسكنوا بعد سعة القصور ضيق القبور وتبدلوا بعد الفرش الوثيرة خشونة المدر...**" [1]

ففي هذه الموعظة يظهر أسلوب الترهيب الذي استعمله ابن الجوزي للتأثير في النفوس، وقد استهل موعظته بقوله اسمع يا عظيم الاغتباط، ولم يقل يا عظيم السعادة، لأن الغبطة هي أكثر درجات السعادة، وأبلغ من السعادة، ليعمل على تذكير السامعين بدنو الأجل، وأن الموت مدركهم كما أدرك الرسل والأنبياء والصالحين أحباء الله، كما أدرك كل جبار ولم يغن عنه ماله وقصوره.

وهي دعوة من ابن الجوزي للعمل من أجل الآخرة، ليدعم حجته في ذلك، بقوله تعالى: ﴿ **هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً** ﴾ [سورة مريم، الآية 98.]، ليختم موعظته بحكمة تبين أنّ التمسك بالدنيا يقود إلى الندم والسقم والحسرة بقوله: "من مهر الدنيا الدنية، زفت إليه بالسقم والألم، ومن ركب مطايا الغفلة أشرفت به على غاية الندم"[2]، فأسلوب الترغيب الذي اتبعه ابن الجوزي مستشهدا بالقرآن معتمداً على أخبار السّلف، كان له بالغ الأثر في النفوس، وحملها على الزهد في الدنيا والعمل على أخذ النصيب في الآخرة.

فنحن نجد كثيرا من الناس لا يحفزه إلى العمل والنشاط شيء أكثر من الذي يحرّك عواطفه ويثير وجدانه من ترغيب ووعد، وترهيب ووعيد فلا ترى في النفس إلاّ الطاعة والقناعة فيما رُغِبَتْ فيه ووُعِدتْ به، أملاً في نيل ذلك الجزاء والخير، سواء أكان دنيويا عاجلاً أو أخروياً آجلاً [3].

ولهذا يعد أسلوب الترغيب من أنجح الأساليب الإقناعية التي استخدمها ابن الجوزي في مواعظه مركزا على ما جاء في القرآن والسنة، وقصص السلف، وأشعار الشعراء من الزهاد.

---

[1]- ابن الجوزي، المواعظ والمجالس، ص ص 107. 108 ..

[2] - المرجع نفسه، ص 108.

[3] - ينظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3 ، 1993، ص 437.

وذلك لما لها من قرب وتفاعل في النفوس البشرية، إلاّ أنّه لابدّ من ذكر أهوال يوم القيامة في أسلوب الترهيب، ليجعل من المتلقي يختار الوجهة الصحيحة التي يجب أن يكون عليها، إذ أراد أن ينال مرضاة الخالق.

فأسلوب الترغيب هو كل ما يشوق المتلقي أو المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[1] وينقسم إلى قسمين أحدهما معنوي والآخر مادي.

أ- الترغيب المادي

وهو كل ما كان محسوسا ومرغوبا لدى النفس البشرية من الولدان والأموال والنساء والذهب والفضة وغير ذلك من آثار النعيم الدنيوي و الأخروي"[2].

ويعد هذا النوع من الترغيب قوي المفعول، لكثرة الفقراء وما يعانونه من ضنك العيش ونكده، فقد جاءت المواعظ مركزة على هذا النوع من لما فيه من أثر على النفوس، فهي ترغب النّاس في أعمال الخير والبر، والأخلاق الفاضلة، والمحبة والتعاون، وغيرها، بقوله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: **﴿فقُلْتُ اِسّتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴿10﴾ يُرسِلْ السَّماءَ عليْكُمْ مِدْرَاراً﴿11﴾ويُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالَ وَبَنِينَ وَيَجعلَ لَكُمْ جنَّاتٍ وَيجْعلُ لكُمْ أَنْهاراَ﴾** [سورة نوح، الآية10-12].

وفي هذه الآية يظهر الترغيب المادي حيث أنّ جزاء الاستغفار عظيم نتيجته أمطار وأموال وبنين وجنات ومغفرة في الآخرة، وقد ورد في موعظة ابن الجوزي " بعض ثمرات الطاعة" قال :**"إخواني :من أراد دوام العافية فليتق الله، ما أقبل مقبل عليه إلاّ وجد كل خير لديه، ولا أعرض معرض عن طاعته إلاّ وتعثّر في ثوب غفلته"[3].**

فقد ذكر ابن الجوزي أن تقوى الله تديم الصحة والعافية في الجسام والعقول وأنّ كل مقبل على الله عزّ وجل وجد عنده الخير كله من لذّات الدنيا والآخرة.

---

[1] - ينظر: طه عبد الله محمد السبعاوي ، أساليب الإقناع في المنظور الاسلامي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ص 110.

[2] - المرجع نفسه ،ص 111.

[3] - ابن الجوزي ، المواعظ و المجالس ، ص 222 .

وأضاف ابن الجوزي :"**أن أبا هريرة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قال ربكم عزّ وجل :لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنّهار، ولم أسمعهم صوت الرّعد".**[1]

ويظهر أن ابن الجوزي من خلال موعظته يهدف إلى استمالة القلوب إلى الاستغفار، والإقبال على طاعة الرحمان لنيل الجزاء المادي المتمثل في الأمطار والخير كله من أموال وبنين وجنان.

-الترغيب المادي الأخروي

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الّذِي يُقْرَضُ اللهَ قَرْضاً حَسَنَا فَيُضَاعِفُه لَهُ أضْعَافاً كَثِيرَة وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبسط وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون**﴾[البقرة، الآية 245] ، إذ أنه من يعمل عملاً صالحاً سواء أكان مجاهدة في سبيل الله، أو نفقة طلب بها الثواب، ضاعف لله له أضعافا مضاعفة، وقيل الواحدة بسبعمائة. ذكر ابن الجوزي في موعظة: "رجل لم تحرقه النار لدعوة امرأة شريفة" أنه في قصة رواها بعض الصالحين أن **رجلاً كان يعمل حداداً يخرج الحديد بيدهِ من النار، ويقلبه على سندال، ولا يجد في ذلك ألما، وعندما سأله عن السبب وأنه من الصالحين، بكى الرجل وأكد أن الله استجاب لدعاء امرأة فقيرة أعطاها مالا ليواقعها، لكنه تركها خوفا من الله فكان جزاءه أن الله كفاه النار في الدنيا وقد يكفيه إياها في الآخرة**[2].

ب -الترغيب المعنوي

وهي تلك الغايات التي تعد الماديات والمحسوسات وسيلة للوصول إليها، كالسعادة والاطمئنان والراحة والخلود، والسمعة الحسنة ومحبة الآخرين واحترامهم وكسب ثقتهم، وغيرها من المبادئ والقيم والغايات السامية لدى المؤمنين[3].

فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَالنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أضجْرَهُمْ بِأَحْسَن مَا كَانُوا يَعْمَلُون**﴾ [النحل، الآية97].

ويتمثل الترغيب هنا في الحياة الطيبة في الدنيا وفي هذه الآية وعد بالخيرات والرحمة.

---

[1] - ابن الجوزي ، المرجع السابق، ص 223 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 219 .

[3] - ينظر : فايزة بوصلاح ، الاقناع في قصة ابراهيم عليه السلام ، مقاربة تداولية ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير ، جامعة وهران ، 2010 ، ص 86 .

- الترغيب المعنوي الأخروي

ويظهر في قوله تعالى: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿25﴾ إلاّ قِيلًا سَلَاماً سَلَامًا** ﴾ [الواقعة الآية25.26].ومنه أن المؤمنين الذين رضي الله عنهم وأدخلهم الجنة جزاؤهم أن الله يفشي السلام بينهم ويسمعون إلاّ الكلام الطيب.

ومن خلال ما تقدم نجد أن أسلوب الترغيب بنوعيه المادي والمعنوي يلعب دوراً هاماً في العملية الإقناعية من حيث نشر الخير والفضيلة وإصلاح الحال والرجوع إلى العقيدة وتنفيذ أحكامها.

وإلى جانب أسلوب الترغيب نجد أسلوب الترهيب وهو عنصر مكمل لأسلوب الترغيب في كثير من الأحوال.

والمتتبع للحجج في مواعظ ابن الجوزي يدرك أن دعوته إلى التمسك بكتاب الله وإتباع الطريق السليم بتبيان كيف يكون العقاب بعد أن يستوفي الفرد جميع سبل اللين والرفق، ويستدل على ذلك بالموعظة التي ذكرها ابن الجوزي في المجالس و المواعظ بعنوان "أين الأطفال والشمطان*" بقوله: "**يا معشر العصاة قد عم الجدب أرض القلوب، وأشرقت زروع التقوى على النوى فأخرجوا من حضر الذنوب إلى صحراء الندم، وحلوّا أردية الغدر عن مناكب العهود، ونكسوا رؤوس الكبر على أذقان الذل لعل غيوم الهموم على ما سلف تأتلف، فقد قيل: " إن العبد إذا أقبل على طاعة الله وأعرض عن معصيته نادته ملائكة الرّحمة، وقفت وهديت هذا طرق الأبرار ومسك الأخيار وإذ أقبل على معصية وأعرض عن طاعته نادته ملائكة العذاب: خاب قصدك وضل سعيك هذا طريق الأشرار وسبيل الفجار ...**"[1].

فقد أرد ابن الجوزي من خلال هذه الموعظة أن يبين ذلك الجزاء المعنوي الأخروي الذي يحصل عليه من يتبع طريق طاعة الله سبحانه وتعالى، وكذا العقاب الذي يجزى به كل من صدّ عن طاعة ربه وتمسك بالمعصية.

ومن خلال ما تقدم يمكننا الملاحظة أن أسلوب الوعظ عند ابن الجوزي قد حوى آليات الترغيب والترهيب سواء أكان ماديا أو معنويا، مقتديا في ذلك بما جاء في القرآن الكريم، الذي يدعو إلى إتباع الحكمة والموعظة الحسنة، من أجل إرساء تعاليم الدين الإسلامي.

---

* الشمطان : مأخوذ من الشمط : و هي الشعرات البيض في الشعر الأسود و المراد هنا العجائز أو كبار السنّ . ينظر : ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 218

[1] - ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 218. 219

فقد قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿**أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَة وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنّ رَبَكَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اَهْتَدَى** ﴾ [سورة النحل، الآية 125].

فقد أرسى القرآن قواعد الدعوة ومبادئها وعين وسائلها وطرائقها من خلال الدعوة بالحكمة وذلك بالنظر لأحوال المخاطبين وظروفهم وبالموعظة الحسنة التي تستميل القلوب وتتعمّق في المشاعر، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة وبالجدل بالتي هي أحسن يجعل المتلقي يطمئن للواعظ .

وعليه فإن الخاصية الدينامية النفسية والاستمالة العاطفية تمكن الواعظ من إدراك العوامل النفسية لدى المتلقي، فهو بذلك يتوقع ما يجوب في النفوس وما تبحث عنه، فإن استعماله لحجج لها تأثيرها يجعل من موعظته ذات منفعة وتأثير نفسي .

2- خاصية التفاعل والتجاوب

إن الواقف على مفهوم الحجاج يجد نفسه أمام دلالته على معنى التفاعل والتجاوب، سواء أكان هذا التفاعل تبادلا للتأثير، أو تناقلا للتغير، أو تجاوبا وجدانيا، بل إن الحجاج هو أصل في كل تفاعل. وتظهر فعاليات الخطاب الحجاجي من طرقة بنائه وتفاعل عناصره، ودينامية مكوناته، فحقيقة الخطاب الحجاجي ليست هي مجرد الدخول في علاقة حوارية مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض[1]، وهما يؤديان إلى اختلاف الرأي في الدّعوى، وهو ما يؤدي إلى حدوث تزاوج بين المخاطب والمتلقي ويظهر ذلك جليا في العملية الحجاجية، وهي حسب عبد السلام عشير كالآتي[2]:

ازدواج في القصد: أي حصول الوعي بالمقصود عند كل من المخاطب والمتلقي.

ازدواج التكلم: كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم، أو كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع.

ازدواج الاستماع: كما لو كان المستمع يحمل المتكلم في سمعه.

---

[1]- بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب هي العلاقة الاستدلالية، وليست العلاقة التخاطبية وحدها، فلا خطاب بغير حجاج، ولا مُخَاطِبْ من غير أن تكون له وظيفة "المدعي" ومُخَاطَبّ من غير أن تكون له وظيفة "المعترض"، وعليه إن دينامية لحجاج تكمن في وجود طرفي الحجاج وهما المدعي والمعترض وتربط بينهما علاقة تخاطبيه واستدلالية. ينظر: طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ،المغرب، 1994، ص 16.

[2]- ينظر: الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج2 ، ص 497.

ازدواج السياق: يحتوي سياق الإنشاء على نصيب من سياق التأويل، كما يحمل سياق التأويل نصيباً من سياق الإنشاء. وهنا تكمن أهمية التفاعل والتجاوب بين المتلقي والمخاطِبْ في الخطاب الحجاجي الوعظي[1].

ورد في "حكاية موعظة "عند ابن الجوزي أنه قال: "**قيل: كان بالبصرة عابد قد أجهده الخوف والوله، وأسقمه البكاء وأنحله، فلما حضرته الوفاة جلس أهله يبكون حوله، فقال لهم: أجلسوني فأجلسوه، فأقبل عليهم وقال لأبيه: يا أَبَتِ ما الذي أبكاك ؟!قال: يا بنيّ ذكرت فقدك وانفرادي بعدك، فالتفت إلى أمه وقال: يا أمّاه ما الذي أبكاك؟!قالت: لتجرعي مرارة ثكلك، فالتفت إلى زوجته وقال: ما الذي أبكاك؟!قالت: لفقدي بِرِّكَ وحاجتي لغيرك، فالتفت إلى أولاده وقال: ما الذي أبكاكم؟!قالوا: لذل اليُتْم والهوان بعدك فعند ذلك نظر إليهم وبكى، فقالوا له: ما يبكيك أنت؟!قال: أبكي لأني رأيت كلا منكم يبكي لنفسه لا لي، أما فيكم من بكى لطول سفري؟! أما فيكم من بكى لقلة زادي ؟! أما فيكم من بكى لمضجعي في التراب؟! أما فيكم من بكى لما ألقاه من سوء الحساب؟!أما فيكم من بكى لموقفي بين يدي رب الأرباب؟! ثم سقط على وجهه فحركوه فإذا هو ميت** "[3]

وهنا يظهر التفاعل والتجاوب في هذا الخطاب لما فيه من حجج يهدف من خلال هذه القصة ابن الجوزي إلى التركيز على أنّ الفرد لابد له من التزود بالحسنات والاستعداد للوقوف بين يدي الخالق لأنه لن يجد شفيعا له يوم الحساب. فقد أراد العابد حمل أهله على التفكير في مصيره في الآخرة لكن كل واحد منهم يرى مصيره في الدنيا بعد رحيل العابد، وهنا يظهر شرط الاستمالة الذي اعتمده ابن الجوزي، حيث وضع المتلقي في ذات الموقف الذي كان فيه العابد، فالمستمع لهذه الموعظة يجدها حقيقة لابد منها، وأنه سيجد نفسه يوم التناد مع ما قدمت يداه وما سجل في كتابه.

---

[1]- الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق ، ص 498

[2]– ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 223

3- خاصية المقاصد والغايات

جاءت المواعظ موجهة نحو جمهور عام، قصد إصلاحهم وهداتهم، وتثبت بعضهم على العقيدة، ولأنها تهدف إلى ترقيق القلوب ومخاطبة النفس واستثارة العواطف، ويستعين الواعظ بضرب الأمثال مما يشاهده الناس بأم أعينهم، ومما يقع في متناول أيديهم "ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس ابن مالك – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها**" [1].

فنجد أن المواعظ عند ابن الجوزي يستخدم فيها القصص لما فيها من عِبر، ولما لها من تأثير بالغ في النفوس، ولما تضمنته من حجج على أصحابها، وغرضها الإرشاد إلى سبيل النجاح، وتغيير وضع ما أو حل مشكلة أو نبذ العنف.

إن الحجاج هو البديل عن العنف إذ أنه يمكن حسب **بيرلمان** أن نسعى إلى تحقيق النتيجة نفسها باعتماد إحدى الوسيلتين : العنف أو الخطاب الإقناعي[2]. والمواعظ باعتبارها خطاباً حجاجياً غرضه النصح والإرشاد ووسيلة لنشر الدعوى الإسلامية لقوله تعالى: ﴿**اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّك بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَة**﴾[سورة النحل ،الآية 125] ، وعليه يمكننا أن نميز بين مجموعة من المقاصد والغايات الأساسية في الحجاجي الوعظي.

1-معرفة الله عز وجل من خلال التدبر في صفات عمّا يستحقه من التوحيد بالعبادة، وواجب الطّاعة، والتذكير بالترغيب في رحمته ومغفرته والترهيب من عقابه وغضبه.

2-الإخبار عن قصص الأنبياء والترغيب في صبرهم في امتحان نشر رسالتهم والترهيب من عاقبة المشركين.

3-الغاية من حجاج المواعظ إمّا الأمر أو النهي:

فيأتي الأمر مثلا بآداء الفرائض كالصّلاة، حيث ورد في موعظة "**يا نائما عن صلاته لابن الجوزي قوله" اسمع يا نائما عن صلاته، كم هذا الهجوع كيف تبقى مع كسر الأصول**

---

[1]- ينظر : الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ص 498.

[2]- المرجع نفسه، ص 498

ضعاف الفروع، إصرارك كالصحيحين وإقلاعك حديث موضوع، يا هذا إن كان قد أصابك داء داوود، فنح نَوْحَ "[نُوحٍ] تحيا بحياة يحي" [1] .

وقد جاءت هذه الموعظة في حث القاعدين عن الصلاة دون سبب، فالإقلاع عنها ليس له مبرر حتى ولو كان ذلك الداء الذي أصاب داوود عليه السلام، ويحتج ابن الجوزي في ذلك أنّه يمكن التضرع إلى الله بدعاء نوح عليه السلام بقوله: "**لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين**" ليحي حياة يحي عليه السلام الذي كان خير أهل زمانه وسيدا وحصورا.

4-مخاطبة كافة الناس حسب قدراتهم الفكرية ومداركهم، فجاء الخطاب الوعظي لينفع الناس بالتذكير مستعملا الأدلّة العقلية المأخوذة من القرآن والسنة وقصص السابقين من السلف والصالحين وأخبار التائبين.

5-الحجاج الوعظي وسيلة لتقاسم رأي ما مع الغير ويهدف إلى الإقناع اليقيني النابع من اليقين الإيماني.

4- الوعظ عند ابن الجوزي و خصائصه

قيل في ابن الجوزي: "... إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة والمشهود له بالسّبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمّة الكلام في النّظم والنّثر، والغائص في بحر فكره ونفائس الدّر، فأمّا نظمه فرضي الطباع، مهيار الانطباع[2]، وأما نثره فيصدع بسحر البيان..."[3]

لقد كان وعظ الامام ابن الجوزي – رحمه الله – مؤثرًا لعوامل أهمها:

– علمه بمختف الفنون وسعة معرفته وكثرة محفوظاته من القرآن و الحديث ...، ولباسه وأناقة هندامه، وصوته وحرارة حماسته وجودة القائه.

– حسن تدينه وصدقه، وإخلاصه في النصح والارشاد.

---

[1]- ابن الجوزي، المواعظ والمجالس، ص194.

[2]-شبّه هنا بالشريف الرّضي وهو ابو الحسن؛ السيد محمد بن الحسين بن موسى ، ويلقب بالشريف الرضي(359هـ وتوفي 969هـ) عرف بعمله "نهج البلاغة" وكتاب "مجاز القرآن" و "المجازات النبوية" ويعد من فحول الشعراء، أما مهيار الديلمي: ابو الحسن أو ابو الحسين توفي 428هـ، شاعر وكتب فارسي الأصل كان ماجوسي وأسلم .ينظر : المرجع نفسه ، ص 16

[3]- ابن الجوزي، القصاص و المذكرين، ص 26

– وضعه الاجتماعي وغناه.

ولقد كان حافظا للقرآن والأحاديث و الكثير من الشّعر والنثر والحكايات، وهو ما يظهر في مواعظه في جميع مصنّفاته.

و تميزت مواعظ ابن الجوزي بالعديد من الخصائص التي تعكس سعة علمه، حفظه للقرآن الكريم، و تمرسه في شرح الحديث، ودرايته بأخبار الأولين من الزهاد والصالحين، لذا نجد أن مواعظه تميزها لغة محركة للنفس، مهيجة للعواطف والمشاعر، خاصة إذا تعلق الأمر بالاعتراف بالذنب والبكاء طلبا للمغفرة والصفح. مستعينا في ذلك بما يأتي:

أ – القرآن الكريم

حفظه للقرآن ودرايته الواسعة بشروح الآيات، وأسباب نزولها، وذكاؤه العاطفي، وتركيزه على ميزة الاستمالة الوجدانية، وكذا العقلية، كلها قدرات تظهر حسن توظيف الامام للقرآن الكريم في المواعظ، ناهيك على الصفة الحجاجية التي يتميز بها القرآن الكريم، ومن ذلك ما نجده في موعظة "احذروا الدنيا":

إذ يقول:"**اخواني: احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت و ماروت ذانك يفرقان بين المرء و زوجه، و هذه تفرق بين العبد و ربه، و كيف لا وهي التي سحرت سحرة بابل، إن اقبلت شغلت و إن أدبرت قتلت ... مازالت الظلمة في الظلمة، يمشون في جمع الحطام، و يمسون على فراش الآثام ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[البقرة، الآية 16]أتراهم نسوا طي الليالي سالف الجبارين؟ ﴿وَ مَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْناهُمْ﴾[سبأ، الآية 45]، فما هذا الاغتراء ﴿خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم المَثُلَات ﴾[الرعد، الآية 6]﴿فَهَلْ يَنْتُظُرون إِلَّا مثل أَيَامِ الذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِهِم ﴾[يونس، الآية 102]كم دار دارت بهم نعم النعم، فدارت عليها دوائر النقم ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدا كَأَن لَمْ تُغْن بِالأَمْس﴾ [يونس، الآية 24]...**"[1]

فمن سمات أسلوب مواعظ ابن الجوزي التوظيف الدائم لمفردات وآيات من القرآن الكريم، نظرا لما تتميز به من قوة في التأثير، ومتانة في الحجاج.

---

[1]– ابن الجوزي ، المواعظ و المجالس ، ص ص213.212

ب – الحديث النبوي الشريف

ثبت عن الإمام ابن الجوزي رحمه الله أنه يوظف الحديث الشريف لأنه يشرح ما جاء في القرآن الكريم، ناهيك عن كونه يحمل قيمة حجاجية، ووظيفته إرشادية وإصلاحية، ومن ذلك ما جاء في موعظة " أتؤثرون الأرض على السّماء"، حيث قال:"...**قال عبد بن يزيد: "سئل أبو بكر الشبلي عن قوله صلى الله عليه و سلم: " إِذَا رَأَيْتُمْ أَهْلَ البَلَاءِ فَاحْمُدُوا اللهَ عَلَى العَافِية " قِيلَ مَنْ هُمْ أَهْلُ البَلَاءَ ؟ قَالَ : أَهْلُ الغَفْلَةِ عَنِ اللهِ عَزّ وَ جَلَّ "..."**[1]

كما نجده يستخدم ألفاظا ومواقفا ثبتت عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من مثل ما جاء في موعظة "الاخلاص و الرياء"، حيث قال:" **إخلاص المخلصين رفع قدر الوسخ "ربّ أشعث أغبر"**[2] **ونفاق المنافقين صيّر المسجد مزبلة ﴿لَا تَقُمْ فِيه أَبَدَا ﴾[التوبة، الآية 108].أيها المرائي: قلب من ترائيه بيد من تعصيه لا تنقش على الدّرهم الزائف اسم الملك فما يتبهرج الشّحم بالورم..."**[3]

فقوله صير المسجد مزبلة يقصد به مسجد الضرار الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يجعل مزبلة و لا يصلى فيه[4]، فقد اقتبس ابن الجوزي هذه الحادثة وصيرها لصالح موعظته.

ج – القصص:

يظهر من خلال التصفح الدقيق لمصنف ابن الجوزي المواعظ والمجالس أنه كثير الاستعمال للقصص سواء من القرآن الكريم، أو ما ثبت عن أحد الصحابة، والتابعين رضوان الله عليهم، أو في عن قصص الزهاد والعباد أو قصص العصاة التائبين، والغرض من ذلك هو الاستمالة العاطفية وجعل المتلقي يفكر في النتائج بناء على الأحداث المقدمة، والقياس عليها إن اقتضت الضرورة لذلك.

من ذلك ما ذكره ابن الجوزي في "حكاية أمة من أهل الله"، "في رجل لم تحرقه النار لدعوة امرأة شريفة"، "في ميت عاتب المغسل في المنام"، "حكاية مذنب و بشر بالرحمة".

---

[1]– ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 231

[2]– رواه مسلم ، ينظر : ابن الجوزي ، المواعظ والمجالس ،ص 225

[3]– المرجع نفسه ، ص 226

[4]– ينظر : المرجع نفسه ، 226

"بداية أبي حفص النيسابوري"، وغيرها من القصص، فلا تكاد تخلو موعظة في هذه المدونة من قصة تكون حجة بالغة في تثبيت أثرها في النفس.

د – الشعر

تجمع الدّراسات الأدبية على أن للشعر الأثر البالغ في تحريك المشاعر، والعمل على إذعانها وذلك يرجع إلى اللغة الخاصة للشعر، وميزانه وقافيته، فالأذن تتذوق موسيقى الشعر والقلب يهتز لما فيه من صور بيانية ومحسنات بديعية، فتجد النفس تميل لهذا النوع من الكلام، ومن هنا نجد أن الامام رحمه الله يدرك جيدا الفائدة البالغة من الاحتجاج بالشعر، لما له من قدرة على جعل المتلقي يذعن لما جاء فيه.

و يظهر أن ابن الجوزي قد استخدم شعر الوعظ وكذا شعر الغزل في استعطاف الخالق وطلب حبه ومغفرته، من ذلك قوله :

استعدِي يَا نفسُ للموتِ وَ اسعِي لنجاةٍ فالحَازمُ مستعدُ

قد عَلِمنَـــا أنه ليسَ للحيِّ خلود و لا من المـــوتِ بدّ[1]

و يقول مستعملا شعر الغزل:

والذي بالبين والبعد بلاني ما تذكــرت الحمى شجاني

أحسد الطير إذا طارت إلى أرضهم أو أقلعت للطيراني[2]

تلك إذن ثلاثة مصادر أساسة استعان بها ابن الجوزي لتقوية حجته الوعظية للتأثير في النفوس و استمالتها و حملها على الخضوع و الإذعان.

---

[1]– ابن الجوزي ، المواعظ و المجالس ، ص 200

[2]– المرجع نفسه ، ص 201.

IV- استعمالية الحجة في المواعظ

1- تعريف الحجة

الحجّة هي ما دلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد [1]. والحجة هي البرهان [2].

يقول طه عبد الرحمان "أنّ الحجّة عند البعض مرادف للدّليل، ولكن غلب عند البعض الآخر استعمالها بمعنى أخصّ، وهي:

1-إفادة الرجوع أو القصد: ومعنى ذلك أن حُجّة مشتقّة من "حجّ" ومن معاني هذا الفعل "رجع"، فتكون الحجة أمراً نرجع إليه أو نقصده، فالحجة بهذا المعنى هي الدليل الذي يجب الرّجوع إليه للعمل به.

2-إفادة الغلبة: ذلك أنّ الفعل "حجّ" دل على معنى "غلب"، فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة. فيصير بذلك مغلوبا.

وعليه يتبين لنا من هذين المعنيين للحجة أنّها الدليل الذي يقصد للعمل به، ولتحصيل الغلبة على الخصم، مع نصرة الحق، ونصرة الشبهة "[3].

فالحجة إذن "عنصر دلالي متضمن في القول يقدّمه المتكلم على أنّه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يصيّرها حجة أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق. [4]

والحجج في فن المواعظ كثيرة، لأن المواعظ هي جمع بين الحجج القرآنية، والحجج النبوية، والحجج القصصية، وكذا الشعرية، ونورد منها ما جاء في موعظة" في أهوال يوم القيامة" الواردة في مدونة المجالس والمواعظ لابن الجوزي حيث أورد في هذه الموعظة حديث النبي صلى الله عليه وسلم وحكاية لزيد ابن مروان مع جارية وجاء فيها:

---

[1]- الشريف الجرجاني، التعريفات، ضبطه و حققه مجموعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1983، باب الحاء ،ص 35

[2]- اسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط4، 1990، فصل الحاء، ص 108

[3]- ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص:137.

[4]- أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج، ص 127

"يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**إذا انقضى الأجل المعدود أمر الجبار جلّ جلاله إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور نفخة الصعق فينفخ فيه على حين غفلة من الناس فمنهم من هو في حرثه ومنهم من هو في سوقه، ومنهم من هو في لهوه ﴿ لَا تَأتِيكُم إلّا بَغْتَةً﴾[** الأعراف، الآية: **187]. فلا يبقى شيء فيه روح إلّا صعق وخمد وتبقى السموات والأرض خالية من سكانها ما شاء تعالى ثم يرسل الله عز وجل ماءً كمني الرجال فيبسط على وجه الأرض فينبت الأجسام كما ينبت الزرع المطر ثم يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور على عدد أرواح الخلائق حتى تملأ ما بين السّماء والأرض ثم ينادي منادٍ على صخرة بيت المقدس أيتها العظام النخرة والعروق المتقطعة والجلود المتمزقة التئمي بقدرة الله عز وجل، فقال: فيرجع إلى كل جسد ما كان منهن وتأتي روحه فتدخل فيه ويأمر الله الأرض أن تنشق عنهم﴿فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنْظُرُون﴾[**الزمر ،الآية **68]قال: فينظرون إلى الشمس وقد كورت وإلى النجوم وقد انكدرت وإلى الجبال وقد سيرت وإلى العشار وقد عطلت، وإلى الوحوش وقد حشرت، فعند ذلك تطيش الأحلام وتزلزل الأقدام وتزفر جهنم زفرة، ويتضاعف الخوف والقلق والفزع ويشتد الكرب والعرق والجزع، ثم يخرج عنق من النار ويقول بصوت سمعه جميع من في المحشر: قد أمرت بكل جبار عنيد، فيلتقطنهم من بين النّاس كلقط الحمام الحبَّ ثم توضع الموازين وتنشر الدواوين وتطاير الصحف بالأيمان والشمائل ثم يمد الصراط على متن جهنم وهي سوداء مظلمة يأكل بعضها بعض ثم يلقى فيها فوج بعد فوج، فلو رأيتم لرأيتم أمراً فضيعاً وأمراً مهولاً طعامهم الزقوم وشرابهم الحميم ليسوا من شدة العذاب بميتين ولا هم منها بمخرجين".**

قال زيد بن مروان: مررت بجارية متعبدة وقد ولهت في شدة لمحبه فسمعتها وهي تقول:

سَلَبَ الرّقاد من الجفونِ تشوقي فمتى اللقاء يَا جَامِعَ الأمواتِ.

قال: فسلمت عليها فردت السّلام، ثم قالت ألست زيداً؟ قلت: بلى فيها عرفتني؟ فقالت: يا هذا اتصلت المعرفة بالأسرار فعرفتك بمعرفة الجبار، ثم قالت يا زيد ما السّخاء عندكم؟ قلت: البذل والعطاء، قالت: هذا السخاء في الدنيا، فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة الله تعالى، قالت: إلى متى؟ قلت: إلى أن تفوز بالجنة.

فقالت: إنما إلى طاعة الله تعالى إلى أن يطّلع على قلبك فلا يجد فيه غيره، ثم قالت:

حسبت المحبّ من الحبيب يعلمه إن الحبيـب ببالـــه مطـروح.

وإذا تقلب في الدّجـى ففؤاده بسهام لوعات الهوى مجروح". [1]

فالمتمعن في الحجج الواردة في هذه الموعظة يجد أنّ ابن الجوزي استعمل الحديث النبوي متضمنا آيات قرآنية للدلالة على هول يوم القيامة، أما القصة المصاحبة للحديث فجاءت لإظهار ما ينتظر المحبين لخالقهم، والحجج هنا هي بمثابة البرهان والدليل على ما سيقع يوم القيامة، والمتمعن في معاني الحجة سواء في القرآن أو الحديث أو المواعظ يجد أن الحجة هي البرهان والدليل، يتخذه المتخاصم لأجل دفع خصمه وغلبته في المحاجة.

2 - خصائص الحجة في فن المواعظ

وتتميز الحجة في فن المواعظ بخصائص أهمها الترتيب والتدرج لكونها تعتمد على الآيات القرآنية باعتبارها أقوى الحجج إذا كانت بمعية حجج أخرى من الحديث أو القصص. وهذا موافق للتصور التداولي الحجاجي الذي يهدف إلى تحديد وتقويم آلية الحجج، وتحديد مدى تجانس بعضها مع البعض الآخر، وتجانس المقدمات والنتائج.

أ- خاصية الترتيب والتّدرج

تعد خاصية الترتيب والتدرج من الطرائق التي يتم تطوير الحجة بها، وهذا عن طريق "الشرح وغايته إضفاء قيمة على الحجة بواسطة التفسير والتوضيح، وإدماج عناصر مدعمة نحو: المثال، والمعطيات الإحصائية، وأيضا تطوير بنية حجاجية صغرى، هدفها تدعيم الحجة، ومنحها شرعية أكثر وذلك بواسطة التضمين[2]"

وهذه الخاصية كما أسلفنا الذكر هي من خصائص الحجة في المواعظ، وللفهم أكثر يمكن أن نستدل بما جاء في الفصل السادس من مدونة ابن الجوزي في موعظة "يا متعبا في جمع المال بدنه" يقول: "**يا من قد بلغ أربعين سنة وكل عمره نوم وسنه، يا متعبا في جمع المال بدنه ثم لا يدري لمن قد خزنه، اعلم أن هذه النفس الممتحنة إنها يكسبها مرتهنة، ألا يعتبر المغرور بمن دفنه؟!كم رأى جبارا فارق مسكنه؟ وسكن مسكن مسكنة !يا راحلين بالإقامة يا هالكين**

---

[1] ابن الجوزي، المواعظ والمجالس، ص 208..

[2]- الحافظ إسماعيل العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 376.

بالسلامة، أين من أخذ صفوها أنتم في كدره؟ !أما وعظكم في سيره بسيره، أين من كان يخاف لباسه، أما تغوض القبر من لباسه، أين من كان على نسائه شديد الغيرة؟! أما رحل عنهن واخترن غيره أنيس، من كان يسري آمنا في سربه؟ ! أما قال للتلف خذه وسر به، أما عاقبة الآلفة فرقة".

يقول شاعر(أبو نواس)

ألا كل حيّ هالِكٌ وابن هالــكٍ وذي نسبٍ في الهالكين عريق.

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوٍ في ثياب صديق.

فلا تحسب الدنيا إذا ما كسبتها قراراً فما دنـياك غيــر طريــق.

عليك بــدار لا يــزول ضــلالها ولا يتأذى أهلهـــا بمضيــق." [1]

ويظهر في هذه الموعظة أنّ ابن الجوزي أراد أن يبين للنّاس ضرورة العمل للآخرة، فجاءت الحجج التي أوردها بترتيب منطقي وعقلي، حيث بدأ بذكر سن الأربعين، وهو السّن الذي يأتي بعد الشباب سن الفتوة والقدرة، ويجب عليه العمل للآخرة، فكم من جبار غادر دنياه، وكم من صحيح اغتر بصحته مات من غير علة، وكم من رجل تعددت أزواجه ومات وتركهن، ليختمها بذكر أن بعد الألفة تأتي الفرقة، وهو أمر محتم لابد منه.

واستشهاد ابن الجوزي بأبيات الشعر لأبي فراس جاء بمثابة الحجة التي تدعم رأيه فقوله:" ألا كل حي هالك" جزم بوجود الموت حتى ولو كان ذا نسب.

وعليه فإن الارتباط الذي بدى واضحا في هذه الموعظة بين الأقوال الواردة بمنزلة علاقة موجهة وعليه فإن كل نص ترتبط أقواله ارتباطا موجهاً توجيها يجعل أحد طرفيه متعلقا بالآخر يعد بمثابة حجة.

كما لا يخفى صاحب الحجة أي المحتج يستخدم الحجج لبلوغ مقاصد متعددة، فقوله: "يامن قد بلغ أربعين سنة " وقوله: "وكل عمره نوم وسِنَةٌ" في الموعظة السابقة متعلقان ببعضهما البعض للوصول إلى نتيجة واحدة وهي تبيان أن العمر قد انقضى في غير محله.

---

[1]- ابن الجوزي، المواعظ والمجالس، ص 54

وقوله: "يا راحلين بالإقامة " وقوله: "يا هالكين بالسلامة " متعلقان ببعضهما البعض يقودان إلى نتيجة واحدة وهي أنّ التمسك بالحياة وسلامة الأبدان لا يوجب البقاء في هذه الدنيا.

ومن هنا يظهر أن ابن الجوزي قد احتاج إلى أكثر من مقدمة، فقد استخدم عددا من المقدمات يبين أن كل إنسان فانٍ ولو كان ذا مال وجاه وصحة وزوجات.

وعليه فإن المحتج يمكنه استخدام الحجج بكيفيات متنوعة لبلوغ مختلف مقاصده.

ب – خاصية صحة الحجة وفسادها.

للتمييز بين صحيح الحجة وفسادها، نعتمد مجموعة من السمات، أهمها التمييز بين مضمون القول وصورته، فكل قول يتضمن معناً مخصوصاً، ويتشكل في بنية معينة[1] ، فقوله: "**كل حي هالك وابن هالكٍ**" يفيد معنى هذا القول امتناع وجود الحياة الدائمة وواضح أن هذا القول صادق، فيكون نقيضه كاذبا وهو:" **كل حي ليس هالكا**"[2].

ومن هنا تظهر صحة الحجة من فسادها، فالقياس الصحيح يظهر من عدم تناقضه مع دليل من الكتاب أو السنّة ولا مع الأقيسة الصحيحة بل كلها متصادقة متعاضدة متناصرة، يصدق بعضها بعضاً ويشهد بعضها لبعض فلا يناقض القياس الصحيح النّص الصحيح أبدا[3].

أما القياس الفاسد[4]: فهو الذي ترد عليه أدلة تدل على بطلانه، ولا شك أنه باطل مثل قول: كل حي دائم أو كل حي ليس هالكاً. فهناك ما يدل على بطلانه من الأدلة التي وردت في الشرع فهو قول ليس من الدّين في شيء، ويمكننا أن نأخذ مثالاً، ونقول: كل إنسان حي فهذه قضية تسمى مقدمة "أ" ثم نقول: كل حي هالك أيضاً هي قضية تسمى "مقدمة 2" فإذا اجتمعتا معاً سميا بـ "القرينة" لاقترانهما وذلك إذا قلنا: كل إنسان حي، وكل حيّ هالك، فيحدث من هذا الاجتماع قضية ثالثة (ق3)، وهي كل إنسان هالك، فهذه قضية تسمى على انفرادها نتيجة (ن)، فإذا اجتمعت (ق3 ون) سميت كلها جامعة.

القول/ القضية1 ⟵ القول/ القضية2.

---

[1]– المقال للأستاذة إيمان الحياري ، بتاريخ http:// www.ahlalloghah.com/assollam.pdf2016/07/04

[2]– ابن الجوزي المرجع السابق ، ص 54

[3]- المقال للأستاذة إيمان الحياري ، بتاريخ http:// www.ahlalloghah.com/assollam.pdf 2016/07/04

[4]- المرجع نفسه .

ق1+ق2 ⟵ القرينة.

القرينة ⟵ ق3: نتيجة(ن).

ق3: (ن) ⟵ الجامعة.

ويمكن أن نطبقها على المثال الوارد نجد:

كل إنسان حيّ ⟵ كلّ حيّ هالك.

ق1+ق2 ⟵ القرينة.

القرينة ⟵ ق3= كل إنسان هالك.

ق3: (ن) ⟵ الجامعة.

3 – أنواع الحجةّ في المواعظ

لقد قسم العلماء – ولا سيما المناطقة – الحجة إلى قسمين: أولها الحجة النقلية، وهي ما كانت من الكتاب والسنّة والإجماع، وثانيها الحجة العقلية، وجاءت على خمسة مراتب من الحجج [1]، بعضها مقبول والآخر مرفوض؛ وهذه الحجج هي: الحجة البرهانية، والحجة الجدلية، والحجة الخطابية والحجة الشعرية والحجة المغالطية أو السفسطائية.

فنجد أن المواعظ تحتوي على الحجة النقلية لكثرة الاحتجاج بالقرآن والسنة وأخبار الصالحين، وتعد الحجة النقلية من أقوى الحجج لأنها تستند للمصادر الأولى في التشريع وهي القرآن والسنّة، أما بالنسبة للحجة العقلية فهي كما أسلفنا الذكر على أنواع وسنتعرض لها.

الحجة على مراتب؛ وهذا ما يقتضيه المنطق والعقل السليم، إذ ليست كل حجة تطرح تكون مقبولة، ولا كل حجة مقبولة تساوي الأخرى في القوة، بل هي على درجات حددها العلماء في خمس مراتب، وهي: (الحجة البرهانية، الحجة الجدلية، الحجة الخطابية، الحجة الشعرية، والحجة المغالطة).

[1] – وردت في السلم المنورق في علم المنطق للأخضري في أرجوزته فيقول: وحجةّ نقلية عقلية أقسام هذي خمسة جلية. ينظر: السلم المنورق في علم النطق، تح : عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ص 56

أ- **الحجة البرهانية:** هي أعلى مراتب الحجة وأرقاها و أقواها وتسمى البرهان أو الحجة القطعية «وهي الحجة التي تفيد اليقين وتتألف من مقدمات يقينية على هيئة تفيد نتيجة يقينية، واليقين فيها مساو لليقين في المقدمات»[1]، أي أنها الحجة التي تفيد اليقين الجازم الذي لا يتطرق إليه أدنى احتمال أو شك، فقولنا مثلا من قدر على إنشاء شيء ابتداء قدر على إنشائه مرة أخرى، فالنتيجة إذا يكون قادرا على إنشائه مرة أخرى.

ب- الحجة الجدلية: و« هي الحجة المؤلفة من مقدمات مشهورة تعتقد الجماهير مضمونها اعتقادا مقاربا لليقين، فلا يشعر الذهن لأول النظر بأن يقينه ممكن، أو المؤلفة من مقدمات يسلم بها المخاطب ولكن هذه المقدمات لا ترقى في حقيقة حالها إلى مرتبة اليقين التام»[2].

فالحجة الجدلية -إذن- هي المرتبة الثانية من مراتب الحجج، والتي تتألف من مقدمات الكل يسلم بها ويعرفها، ولكن هذه المقدمات لا ترقي في الحقيقة إلى مرتبة اليقين التام، وتوجد أمثلتها في مجالات عديدة كقضايا الحق و الواجب والأخلاقيات، وغيرها.

وقد استخدمها ابن الجوزي في مواعظه، حيث يجادل في "**أنَّ من كان بين أهله أمس اليوم هو في عزلة عنهم**" و" **من كان بين أهله في ألفة هو اليوم في فرقة عنهم** "[3]وهذه الحجة جاءت لتأكد حكمة وشرعية الموت ففي هذه الحجة رد قاطع عن وجود الموت فالمسلم الطائع إلى ربه لا ينكر هذه الحقيقة فالفرقة بعد الألفة هي من أهم الأشياء التي يعتقد بها الناس اعتقاداً مقارباً لليقين

ج- الحجة الخطابية: هي حجة "تفيد ظنا راجحا مقبولا غير ملزمة الصدق في الكلام"[4]. أي «هي الحجة التي لا تلزم الطرف الأخر الأخذ بها، ولكنها تفيد ظنا راجحا مقبولا، أو هي تعتمد على مقدمات ظنية سواء سلم بها المخاطب أم لم يسلم بها، وسواء أفادته ظنا راجحا أم لم تفده، لكنها من وجهة نظر المستدل بها تفيد ظنا راجحا[5]. وهي تتكون من مقدمات تحوي درجة قليلة من الاحتمال، ولا تصاغ لإنارة المخاطَب بالدليل والحجة المقنعة بل غرضها إثارته، فنجاعتها في حملها المخاطب القيام بعمل أكثر منه في إقناعه بالدليل[6]، ويمكننا تسميتها بالحجة التأثيرية.

---

[1]- المقال للأستاذة إيمان الحياري ، تاريخ http:// www.ahlalloghah.com/assollam.pd f2016/07/04

[2]- المرجع نفسه.

[3]- ينظرابن الجوزي، المواعظ و المجالس ، ص 54

[4]- علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة ،دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة مصر، ط1، 1989م، ص129

[5]- عبد الرحمن الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، ص 300

[6]- ينظر: دعوة الحق، مجلة شهرية عنوان المقال نظرية ابن رشد في التوفيق بين الشعرية والفلسفة، العدد 50 و51، ص 25

وتعتمد المواعظ على الخطابية ومن ذلك قول ابن الجوزي: "أين من كان على نسائه شديد الغيرة؟ !أما رحل عنهن واخترن غيره" حيث يعرف بأن مخاطبيه يعرفون صحة هذه الحجة في أنفسهم، وهم لا يحتاجون لغيرهم لكي يبينها، فمن كان شديد الغيرة على نسائه سوف يختارون غيره بعد وفاته فهو يهدف إلى إيصال القصد بالظن المطلوب.

د- الحجة الشعرية: و« هي الحجة التي لا يشترط فيها أن تفيد ظنا راجحا مقبولا بل تعتمد على مقدمات وهمية وصور كاذبة لا تخفى على المخاطب، لأنها تشتمل على ما يتلاعب بمشاعر المخاطب النفسية فيتأثر بها ويستجيب لمضمونها، وقد يكون عالما بعدم صحتها»[1]. فهي تعتمد على تحريك النفس والتلاعب بمشاعر المخاطب حتى يستجيب لها، ولأنها سيطرت على مشاعره ووجدانه، وكثيرا ما كان الشعراء يستخدمون هذا اللون من الحجج في شعرهم، لأجل السيطرة على مشاعر الآخرين وتحريك النفوس بالاعتماد على مقدمات خيالية ووهمية.

ونجد هذا النوع من الحجة الشعرية العاطفية في فن المواعظ، لأنه يهدف إلى تحريك مشاعر الموعوظين والتأثير فيهم، ومن ذلك ما جاء في موعظة ابن الجوزي: "**اسمع يا عبيد فلسه، يا عدو نفسه، تعانق الدنيا بعين الحرص عناق اللام للألف، متى تزل الدرهم من القلب؟ أين منزل الثرى من الترف، ويحك أتبحث عن حتمك وظلفك وتَجْعَدَ بسيفك مارن انفك؟ ما أكرم نفسه قط من أهانها فاحذرها فكل ما يجري عليك منها يا موثق الأقدام بقيد العوائق فاتك السبق فأجهد أن لا تكون لاحق، من طلب المعال سهر الليالي، لولا صبر المضمر على قلة العلف ما قيل سباق ما قد سجاف ﴿نِعْمَ العَبْدُ﴾[سورة ص،الآية44]. على فتنة ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ ﴾[سورة ص، الآية 43.] حتى جرت في أمانة ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرا ﴾[سورة ص الآية44] من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الأخرى له**"[2].

استخدم ابن الجوزي حجج عاطفية غرضها تحريك المشاعر ضد الدنيا والتمسك بها والبحث عن المال والخلود وقد استخدم آيات قرآنية غرضها تليين القلب بقوله تعالى:﴿ نِعْمَ العَبْدُ ﴾ [سورة ص،الآية44] وقوله تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ ﴾[سورة ص، الآية 43]. وقوله أيضا ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرا ﴾ [سورة ص الآية44] للدلالة على أن العبد الطائع لربه الصابر على محن الدنيا يجازيه الخالق ويهب له من خيرات الدنيا وحسن جزاء الآخرة.

---

[1]- عبد الرحمن الميداني ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال ، ص302

[2]- ابن الجوزي، المواعظ و المجالس، ص 304.

هـ – الحجة المغالطة: وهي حجاج فاسد "تقوم على الغلط أو المغالطة، فإذا تضمنت مقدمات الحجة خطأ غير مقصود فهي غلط منطقي، ويجب على صاحب القضية أن يصححها، أما إذا تعمد صاحبها وضع هذا الغلط قصدا يهدف للتضليل فيسمى عمله مغالطة"[1]. أي أنها الحجة المؤلفة من مقدمات كاذبة وخاطئة، وقد يكون هذا الخطأ متعمدا أو دون قصد[2]. وهذا النوع من الحجج نادرة في فن المواعظ، لأن غايتها نبيلة وصادقة.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الحجة تتدرج في سلم مدرج من البرهان إلى الجدل إلى الحجة الخطابية إلى الحجة الشعرية وأخيرا الحجة المغالطة. ولكنها لا تجتمع في فن واحد، وكذلك في فن المواعظ، إذ يختار منها ما يلائم الغرض الذي يهدف إليه الخطاب.

---

[1] أحمد دعدوش ، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام ،دار ناشري للنشر الالكتروني، ص7.

[2] ينظر، عبد الرحمن الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال ،ص297

الفصل الثاني : السلميات الحجاجية في مواعظ ابن الجوزي

I- ماهية السلم الحجاجي

II- آليات السلالم الحجاجية في مواعظ ابن الجوزي

III- العلاقات الحجاجية في المواعظ و المجالس

الفصل الثاني : السلميات الحجاجية في مواعظ ابن الجوزي

إنّ استعمال الحجج بنية استمالة المتلقي و حمله على الإذعان، يقود إلى العمل على ترتيبها وفق ما يقتضيه المقام من جهة وعلى اعتبار قوة الحجة من جهة أخرى. من هنا ظهرت سلمية الحجج و تدرّجها و تراتبها .فما هو السلم الحجاجي؟ و ماهي آلياته في المواعظ و المجالس ؟

I- ماهية السلم الحجاجي

1- استقصاء مفهوم السلم الحجاجي عند العرب

أ – السلم عند اللغويين

السّلم من الجذر "س ل م" وهذه الحروف الأصلية جاءت في اللغة العربية بمعانٍ متعددة، منها ما ذهب إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجم العين في باب السين، فيقال: " هي السُّلَّمُ وهو السُلَّم أي السّبب والمرقاة، والجمع السلاليم"[1]. فالمرقاة هي وسيلة الرّقي أو آلته وموضعه أو ما يرقى به أو فيه، كما أنّه يُذَكّر أو يُؤنّث، والجود مرقاة الشرف، ويقال: المجد صعب المراقي.[2]

فالسُلَّم هو ما يصعد عليه إلى الأمكنة العالية، وما يتوصل به إلى شيء ما[3].

أمّا في الاصطلاح فقد عرّفه الطاهر بن عاشور في مادة "السلّم" باعتباره شيئا ماديا، وآلة للصعود، وذلك بذكر عناصر أجزائها: "فهو آلة للارتقاء تتّخذ من جبلين غليظين متوازيين تصل بينهما أعواد أو حبال أخرى متفرقة في عرض الفضاء، الذي بين الحبلين من مساحة ما بين كلّ من الأعواد بمقدار ما يرفع المرتقي إحدى رجليه إلى العود الذي فوق ذلك، وتسمى تلك الأعواد درجات، ويجعل طول الحبلين بمقدار الارتفاع الذي يراد الارتقاء إليه، ويسمى السلّم مرقاة ومِدْرَجَة

---

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة(س، ل، م) ص270.

[2]– إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مصر، مادة (سلم)،ج1، ص 367.

[3]– الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير، ص78 .

وقد سمُّوا الغرز الذي يرتقي به الراكب على رحل ناقته سلَّماً، وكانوا يرتقون بالسلم إلى النخيل للجذاذ. وربما "كانت السلالم في الدور تتخذ من العود فتسمى المرقاة، فأمّا الدرج المبنية في العلالي فإنّها تسمى سلَّماً "[1].

و يرى ابن العسكري أن الرّقي أعم من الصعود، فيقول:" ألا ترى أنه يقال: رقى في الدّرجة والسلم"، كما يقال:" صعد فيهما "، ويقال: "رقيت في العلم والشرف إلى أبعد غاية، ورقي في الفضل"، ولا يقال في ذلك صعد، والصعود على ما ذكرنا مقصور على المكان، والرقي يستعمل فيه وفي غيره، فهو أعم، وهو أيضا يفيد في التدرج في المعنى شيئًا بعد شيء، ولهذا سمي الدرج مراقي وتقول: " ما زلت أراقيه حتى بلغت به الغاية أي: أعلو به شيئًا فشيئًا"[2].

والمتتبع للآيات القرآنية التي وردت فيها مادة "سلم " نجدها في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعَرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ نَبْتَغِي نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللهُ لجَمَعَهُم عَلَى الهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِين**﴾[الأنعام، الآية 35]. ومعنى هذه الآية أن الأنبياء والرسل يرجون اهتداء قومهم ما استطاعوا، فيبلّغونهم ما ينزل إليهم من الله ويعظونهم، ويدعونهم بالحجة والمجادلة الحسنة. وإن كان عظم عليك – أيها النبي– صدود هؤلاء المشركين وانصرافهم عن الاستجابة لدعوتك، فإن استطعت أن تتخذ نفقا في الأرض، أو سلَّمًا أي مصعداً تصعد فيه إلى السماء، فتأتيهم بعلامة أو برهان على صحة قولك غير الذي جئناهم به فافعل، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الذي أتم عليه ووفقهم للإيمان، ولكن لم يشأ ذلك لحكمة يعلمها سبحانه، فلا تكوننّ أيّها الرسول من الجاهلين الذين اشتدّ حزنهم[3].

الثانية: قوله تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فيه فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِين**﴾ [سورة الطور الآية 38.]. وجاءت هذه الآية بنفي علمهم بالغيب عن طريق التهكم والسخرية بهم، بإنكار أن يكون لهم سلم يرتقون به إلى السماء ليسمعوا ما يحدث في العالم العلوي، من أمر تتلقاه الملائكة أو أهل الملأ الأعلى بعضهم مع بعض فيسترقوا بعض العلم[4].

---

[1]– الطاهر بن عاشور ،المرجع السابق ، ص78

[2]– أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، دار النشر الاسلامي، ط1،2000 ، ص 259

[3]– ناصر الدين بن محمد الشيرازي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ج1، ص240.

[4]– المرجع نفسه، ص 240

ومن خلال تتبع معاني كلمة "سلّم" في القرآن الكريم نجد أنها تدل على الصعود والارتقاء والعروج إلى السماء[1]. فهي إذا تحمل معنى إيجابيا يوحي بالارتقاء والمعنوي والصعود المادي.

ب- السلم الحجاجي عند المناطقة

من أهم الدارسين في علم المنطق الذين استخدموا مصطلح "السلّم" في مصنفاتهم عبد الرحمان الأخضري[2] (ت 982هـ) في أرجوزته "السُّلَّم المَنَوْرَقْ فِي عِلْمِ المَنْطِق". ألّفها في علم المنطق من بحر الرجز سنة 941هـ وتحتوي مئة وثلاثة وأربعين بيتا وجاء في مطلعها:

الحمد لله الذي قد أخرجـا نتائج الفكر لأرباب الحِجَـا

وحطّ عنهم من سماء العقل كل حجاب من سحاب الجهل[3]

"ويرى الأخضري أن المنطق يبحث في التصورات والتصديقات بآلياته كالقياس والاستقراء والتمثيل، وغرضه هو التمييز بين الكذب والصدق في الأقوال، والخير والشر في الأفعال، والحق والباطل في الاعتقادات، فالسلم الحجاجي يظهر جليا من خلال القضايا التي درسها المنطق، ويظهر أن الأخضري قد توصل إلى تصنيف الحجة إلى خمسة مراتب وسبق بذلك (Ducrot) إذ رتّب الحجج حسب ضعفها وقوتها فيقول الأخضري :

وحجـة نقليـة عقليـة أقسـام هـذي خمسة جلية

خطابة شعر وبرهانُ جدلٌ وخامس سفسطة نلت الأمل

---

[1]- كما نجد أن الآيات القرآنية قد حوت على مرادفات لمادة" السُّلَّم " و التي تحمل دلالات قريبة مثل :" الدراجات " و"المنازل" و" المعارج" من تلك المواضع نجد لفظة " درجات "التي وردت بكثرة (حوالي اثنا عشرة مرة) ينظر: الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير، ج1، ص300.

[2]- هو الشيخ الإمام الصدر أبو زيد عبد الرحمان بن سيدي محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري، ولد في بسكرة في الجزائر سنة 920هـ على الأصح ،وسمي الأخضري نسبة لقبيلة من العرب، كان الشيخ عالماً صالحا زاهدا، رحل في طلب العلم إلى تونس. ينظر : حسن درويش القويسني ، شرح العلامة القويسني على متن السلم للأخضري، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، ص3.

[3]- ينظر :المرجع نفسه ، ص 3

ثم يقول:

أجلّـــها البرهان ما أُلّف من وفـي دلالـــــة المقدمـات"[1]

فالشيخ الأخضري يرى أن الحجة البرهانية تتصدر أعلى السلم عن باقي الحجج، لأنها تبدأ بمقدمات يقينية وصولا إلى نتيجة يقينية.

و من هنا يمكننا أن نضع انواع الحجج في سلمية حسب ترتيبها عند الأخضري:

ن= القطع والإذعان

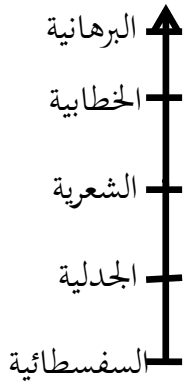

فالقول أو الخطاب الذي يقع في أعلى درجات السلم هو الدليل الأقوى في الإقناع والإذعان، وعليه، فالحجج تكون متفاوتة في قوتها الحجاجية، وترتيبها يكون باعتبار القوة، حسب السلم أعلاه.

ج – السلم عند المفسرين

لقد عزز علم التفسير الحركة العلمية والثقافية وكذا الأدبية فهو يعد منهلا، ومنبعا فياضا لمصادر الفكر المختلفة كما نجد بعض التفاسير مصنّفة حسب مذهب صاحبها لأن كل مفسر كان يفسر في مجال الفن الذي يغلب عليه[2].

وعليه يمكننا القول أن التفاسير انقسمت إلى أنواع بحسب الموضوعات التي اهتم بها أصحابها، ومن هنا جاءت السلالم الحجاجية والمواعظ خاضعة في عمومها لمذاهب المفسرين. فوجوه التفسير على قسمين، الأول تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له إلى التبحر في معرفة اللّسان العربي

---

[1]– حسن درويش القويسني ، المرجع السابق ، ص 4

[2]– "النحوي تراه ليس له همّ إلاّ الإعراب، وتكثر الأوجه المحتملة فيه، ونقل النحو، ومسائله، وفروعه، والإخباري ليس له شغل إلاّ القصص واستقاءها و لأخبار عمن سلف..." ينظر: جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تح: إبراهيم محمد أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1974، ج4،ص243.

والثاني حمل اللفظ المحتمل على أحد معنييه وذلك نتاج الحاجة إلى معرفة أنواع من العلوم، تعلم اللغة وعلم الأصول الذي يدرك به حدود الأشياء.

فإذا يمكننا القول أن التفسير بالمأثور، يورد بأعلى درجات السّلم لأنّ له قوة حجاجية عالية فينتج السّلم كالآتي :

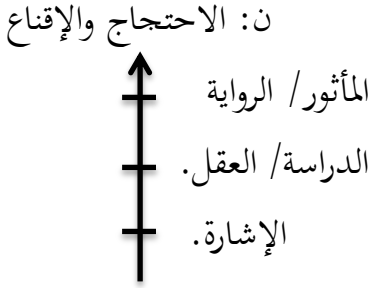

وعليه فقد اهتم المفسرون بالسلالم الحجاجية، واعتبروها من أهم الوسائل في بيان مقاصد الآيات ودلالاتها وغاياتها.

د- السلم عند البلاغيين

اهتم علماء البلاغة بالكلام من ناحية الجمال المؤثر في النفس الإنسانية فقد ذكر الجرجاني في دلائل الإعجاز عند دراسة المحذوفات في القرآن بقوله: "هذاَ بابٌ دقيقُ المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزْيد للإفادة، وتجدُك أنطق ما تكون إذَا لم تَنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبيّن، وهذه جملة تنكرها حتى تَخْبُر وتدفعها حتى تَنْظُرَ"[1]. وعليه فالحذف يرفع مستوى الكلام إلى مراتب عالية في البيان.

وقد أكّد علماء البلاغة على ضرورة السلمية في البلاغة، حين عدّوا الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة، وكذا الكتابة أبلغ من التصريح، والاستعارة أبلغ من الكناية، فيرى الجاحظ أنّ: " أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ متخير اللّفظ، لا يكلّم سيد الأمّة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة"[2]

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز ، تح : محمد التنجي ، دار الكتاب العربي، ط 1، 1995، ص 121.

[2]- عمر بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 64

فإذا كان السلم الحجاجي يهتم باللغة كظاهرة حجاجية، فإنّ البلاغة كان لها السبق في ذلك، فالبلاغة تقوم على اللفظ مع حسن تخيُّره، وقوة تأثيره وعليه فالبلاغة طرفان: طرف أعلى إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز وطرف أسفل منه تبتدئ وهو دون الكلام البليغ[1].

وبالتالي نجد صلة وثيقة بين السلّم الحجاجي وعلوم البلاغة، وذلك باعتبار مقتضى الحال ومقامات الكلام، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام الوصل يباين مقام الفصل[2]. وعليه فإن بلاغة المتكلم ترد في أعلى السلم، بالمقارنة مع الحجج الأخرى، وذلك لقوتها وفق الشكل التالي:

ن= البليغ الفصيح التام

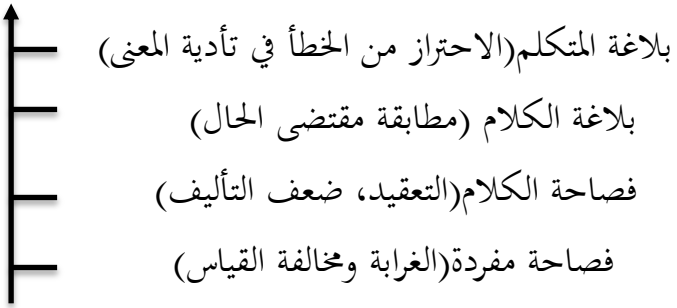

ويعدّ أسلوب المجاز في البلاغة أبلغ من الحقيقة ولهذا يكون دوره الحجاجي أقوى وأنجع مثلما نجده في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الّذِي يُرِيكم آيَاتِهِ وَيُنَزِلُ لَكُم مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إلاّ مَنْ يُنِيب**﴾[غافر، الآية 13.] فقد جاء ملفوظ "الرزق" مقابل" المطر" وذلك تطبيقا لمفهوم القوة الحجاجية والتوجيه الحجاجي، ويمكن أن نمثّله بالسلّم.

ن: تحقيق التوحيد

[1]- محمد طروس ،النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة ، المغرب ، ط1 ، 2005 ، ص14 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 15

فملفوظ" المطر" وإن كان يمكن أن يوجه نحو نتيجة (ن) وهي مقصد الخطاب "آمنوا بالله ووحدوه" إلاّ أنّ لفظة "الرزق" أقوى في التوجيه إليه فالمطر قد ينفع وقد لا ينفع، في حين أن "الرزق" هو دائم ذو منفعة ومكسبة ولهذا ذهبنا إلى أن المجاز" أ " يأتي درجة من درجات السلم من" ب " أجدى وأقوى حجاجيا[1].

هـ- السلم عند الأصوليين

لقد حدد الأصوليون الخطاب على مراتب، فرقوا بين بعض المصطلحات وهذا بحسب احتجاجها وقوتها في السلم الحجاجي، وقد عدّو الفرض أعلى مراتب الوجوب استنادا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُكَ إلى مَعَاد**﴾ [القصص، الآية: 85.] ومعناها أنزل وأوجب عليك أحكامهُ وتبليغه، فصار اسم الفرض في الشرع في أعلى مراتب الواجبات.

وهذا ما ينطبق أيضا على الخطاب الشرعي في القرآن والسنة، فنجد الفرض والحرام وتتوسط بينهما درجتا المندوب، والمكروه وبينهما المباح، ومن ثمة يكون حصيلة هذا التّراتب بناء سلمي يوم من خلاله أفعال المكلف[2]، ويمكن تمثيله كالآتي:

ن= الإقناع و لاحتجاج به.

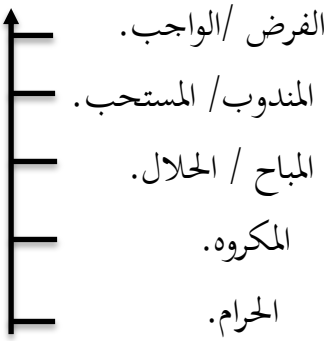

[1]- محمد طروس ، المرجع السابق ، ص15 .

[2]- ينظر : أحمد كروم ، الاستدلال في معاني الحروف ، دراسة في اللغة و الأصول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2009 ، ط1، ص51 .

و – السلم عند علماء الحديث

لقد كان في عرف العلماء القدامى أن الحديث يقسم إلى نوعين:

صحيح وضعيف، والضعيف ينقسم إلى ضعيف متروك ولا يحتجّ به، وإلى ضعيف حسن، وكان السبق في تقسيم الحديث إلى أبي عيسى الترميذي[1] وجعله ثلاث أقسام: صحيح[2] وحسن وضعيف.

ومن الملاحظ أن الحديث الصحيح يرد في أعلى السلّم بالمقارنة بالحجج الأخرى مثل ماهو مبين:

ن = الإقناع، والاحتجاج به.

↑ حديث صحيح.

حديث حسن.

حديث ضعيف.

وعليه فإن هناك علاقة واضحة من صحة الحديث والسلم الحجاجي، فالقول الذي يقع في أعلى السلم هو الدليل الأقوى الذي يحتج به في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وهي متفاوتة في قوتها، ويكون ذلك باعتبار السّند والمتن والقوة الحجاجية.

2- السلم الحجاجي عند الغرب المحدثين (التداوليين)

استطاع ديكرو أن يقدم تصوره الأوّل للحجاج في كتابه الدليل والقول ledirela et preuve والذي خصصه للعلاقة بين المنطق واللغة لتنمو تلك الآراء شيئا فشيئا إلى أن توصل إلى نظرية السلالم الحجاجية .

أ- مفهوم نظرية السلالم الحجاجية

نتيجة للتطور الذي حصل في الدرس التداولي أدى إلى تطور الدرس الحجاجي لكنه كغيره من العلوم مرّ بعدة مراحل يمكن أن نوردها في:

---

[1]- ينظر : أحمد كروم ، المرجع السابق، ص 51.

[2]- الحديث الصحيح وهو الحديث المسند المتصل برواية العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قارحة، والمراد بالمسند المنسوب إلى النبي صلى عليه وسلّم، تقوم صحة الحديث على اتصال السند، توثيق الرواة، عدم المخالفة، أمّا الحديث الحسن فيه جميع الصفات إلاّ صفة الضبط فراوي الحديث الحسن ضبطه أخف ويحتج به أيضا، أما الضعيف وهو الذي لم تتوفر فيه أي صفة من صفات الحديث الصحيح أو الحسن.ينظر :محمد عبد السلام خضر،كتاب السنن و المبتدعات المتعلقة بالأذكار و الصلوات ،دار الكتب العلمية ، 1994، ص ص45-47

- مرحلة التقليد

وتعد هذه المرحلة أولى بدايات الدرس الحجاجي حيث تميزت بالنظر إلى اللغة والحجاج بصورة منفصلة، ولا يوجد فرق بين هذه المرحلة وما كان سائدا في درس البلاغة، وعليه فالحجاج في هذه المرحلة مكون من مكونات الخطاب.

فهو عبارة عن نشاط ليست له أية علاقة بالبنية التركيبية للغة فهو يتعلق بالكلام، وما يتركه من آثار على المتلقي[1]. فالحجاج في هذه المرحلة هو حجاج بلاغي مرتبط بأسلوب الكلام ومقتضاه.

- مرحلة التمهيد

وفيها يظهر التفاعل مع الفلسفة التحليلية، ومن هنا بدأ التقدم حيث حدث تقارب بين اللغة والحجاج، وقد كان على يد "أوستين" و"سيرل" من خلال نظرية أفعال الكلام، وهي نظرية ترى أن الحجاج يتمثل في انجاز تسلسلات داخل الخطاب، أو بعبارة أخرى الحجاج يحقق متواليات من الجمل والأقوال، البعض منها بمثابة الحجج، والبعض الآخر بمثابة النتائج، وعليه فهم يرون أن الفعل الحجاجي ما هو إلاّ نوع من الأفعال الانجازية التي يحققها الملفوظ في بعده التواصلي، ضف إلى ذلك مفهوم القيمة الحجاجية التي تعني نوعا من الالتزام في الطريقة التي يجب إتباعها للوصول إلى استمرارية ونمو وتطور الخطاب ليحقق مبتغاه.[2]

وبالتالي فإن نشأة السلم الحجاجي بمفهومه التداولي كانت في أحضان نظرية أفعال الكلام التي ترتكز في أساسها على المنجزات القولية الفعلية.

- مرحلة التأسيس

وفيها ظهر كتاب "الحجاج في اللغة" لكل من "ديكرو" و "انسكومبر" سنة 1983 حيث تم التوصل إلى الروابط الحجاجية في بنية الجملة ومنها بدأ التأكد من أنّ اللغة ذات وظيفة حجاجية بالدرجة الأولى بعد الوظيفة الإخبارية[3]، باعتبار الروابط الحجاجية هي المدرج اللغوي للسلم الحجاجي.

---

[1]- محمد طروس ،النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، ص28

[2]- ينظر: شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربي من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود ، ص 352.

[3]- المرجع نفسه،ص 354

- مرحلة النضج والتطور

وهنا كانت الجمل اللغوية تمثل مظاهر لحركية حجاجية، ويتحقق هذا بالمراجعة الشاملة للروابط الحجاجية، والقيمة الحجاجية، والسلم الحجاجي، لتظهر نظرية السلالم الحجاجية لتطرح تطوراً خاصاً لكيفية تدرج العملية الحجاجية من حيث هي فعالية بين قول الحجة ونتيجتها. "فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوّن أساسي لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهةً حجاجية ما"[1].

فقد الانطلاقة الحديثة لفكرة السلالم الحجاجية عند ديكرو(Ducrot) الذي قدّم تصوّره حول السلّم الحجاجي والدور الذي تلعبه العلاقات السلمية التي تنظم الملفوظات اللغوية في إنشاء الحجاج داخل الخطاب.

ب- تعريف السلم الحجاجي

"يرى ديكرو (Ducrot):" أن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (الحجج) نسميه سلماً حجاجياً "[2]، أي أن الحجج حينما تتفاوت ضمن نفس الحقل الحجاجي تكون سلماً حجاجيا

ومثل لهذا السلم بالخطاطة التالية:

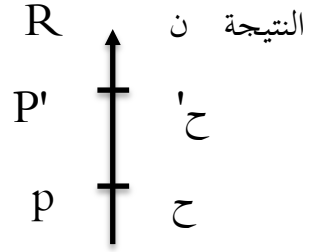

حيث يرمز بـR للنتيجة و P' للحجة الأقوى التي تأتي في أعلى السلم و للحجة الأقل ولتحليل هذه الخطاطة وقف ديكرو عند نعوت "حالة الجو" وتتبع بعض المشيرات الكمية مثل (Petit, Grand)، كما استعمل بعض الروابط الحجاجية من مثل(Même,Mais,Presque)"[3].

---

[1]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[2]- شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة، ص 355

[3]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص101

"وبناء على ما أبدعه ديكرو، حدد الدكتور طه عبد الرحمان السلم الحجاجي بكونه: "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين:

1-أن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم من القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

2-أن كل قول في السّلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى."[1]

وقد أورد الدكتور طه عبد الرحمان مثال استدل على ترتيبية الحجج حسب قوتها في السلم الحجاجي.

حصل زيد على شهادة الثانوية.

حصل زيد على شهادة الإجازة.

حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وتنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، وكلها تؤدي إلى النتيجة المضمرة وهي كفاءة زيد ومكانته العلمية.

وعليه سيكون السلم الحجاجي كالتالي:[2]

ن: مكانة زيد العلمية (الكفاءة العلمية).

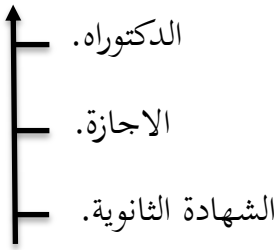

ومفهوم السلم الحجاجي يرتبط بقوة الحجج أو ضعفها فيقرر ديكرو (Ducrot) أن هناك سِمة أساسية تميز الحجج في الأدلة في الاستعمال، والذي يلاحظ من هذه الحجج أنّها لا تقطع قطعا نهائيا في إثبات النتيجة، كما هو الحال في البرهان. فقد تكون جميع الحجج الواردة لصالح النتيجة نفسها و هنا يمكن القول أنها تشترك في نفس القسم الحجاجي[3].

---

[1]- عبد اللطيف عادل ، المرجع السابقص 102

[2]- المرجع نفسه، ص 102

[3]- ينظر: حافظ اسماعيل العلوي ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، دار ورد الأردنية ، ط1، 2011، 152.

فوظيفة الحجاج في اللغة تكمن في التوجيه الذي يحصل في مستويين : مستوى السامع و مستوى الخطاب والغاية في توجيه السامع هي التأثير فيه أو مواساته أو إقناعه أو جعله يمارس أفعالا معينة أو يقلع عن ممارستها، فالحجاج يأتي توجيهيا بآليات ذات طبيعة لسانية.[1]

و"يعرف **موشلار** السلمية قائلا: وللتعريف نقول عن ظاهرة لسانية أو غيرها بكونها ذات خصائص سلمية، إذا كان وصفها يستدعي على الأقل صلة علائقية متبادلة بين لفظين مثلا و تكون بينهما استلزامية..."[2]

3- مستويات السلم الحجاجي

أ- سلمية المعجم

لئن بدأت السلمية على النحو الذي عالجها به ديكرو(Ducrot) يكتنفها عسر إدراكها، فإنها في المعجم تبدو أكثر وضوحا، وقد قدّم ديكرو في كتابه السلالم الحجاجية أمثلة من قبيل الصّفة التي تطلق على الطقس (منعش، بارد، قارس) أو (دافئ، ساخن، حار) وأساس هذه السلمية هي قيام المعجم على ضرب خاص من التقابل، ونقصد بالتقابل ذلك الاسترسال في معاني المفردات على النحو التالي[3]:

[1]- عبد اللطيف عادل ، المرجع السابق، ص 102

[2]- حافظ اسماعيل العلوي، المرجع السابق ،ص 153

[3]- ينظر: شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة، ص363.

فالصفات هي أكثر أقسام الكلام تعبير عن السلمية، والمفيد من كل هذا هو أن المعجم بأقسامه ومقوماته تحكمه سلمية تؤكدها الوظيفة المرجعية للغة[1]، فسلمية المعجم مباشرة لا تحتاج إلى جهد لإدراكها ومن ذلك صفات الحركة، مشي، هرول، جرى، وهي سلمية في الحركة.

فالصّفة إذًا التي تقع أسفل السلم هي أقل صفات السلم الحجاجي، وأقلها قيامًا بعملية التوجيه الحجاجي في حين أنّ الصّفة التي تقع في أعلى السّلم هي الصّفة التي تحتوي السمات المشتركة وغير المشتركة لما يكوّن السّلم، وبالتالي فهي أكثر مفردات السّلم حجاجية.

ويمكن أن نمثل المستوى المعجمي للسلم الحجاجي في مواعظ ابن الجوزي من خلال موعظة " أين الأطفال والشمطان "فيقول:" **وقيل: أوحى الله عزّ وجل إلى داوود عليه السلام: يا داوود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظار لهم ورفقي بهم وشوقي إليهم ومحبتي لترك معاصيهم لماتوا شوقا إليّ، يا داوود هذه إرادتي للمدبرين عني فكيف إرادتي للمقبلين عليّ، يا داوود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني، وأرجى ما يكون لعفوي إذا أدبر عني، وأجل ما يكون إذا رجع إليّ خوفاً مني**"[2]

فنجد أن المفردات " أحوج"، "أرجى"، "أجل " هي مفردات دالة على الرغبة للوصول إلى غاية فالحاجة أولها وثانيها الرجاء وثالثها الإجلال، فنجد أنّ الإجلال هو قمة التمسك بالشيء للوصول إليه ببلوغ أقصى درجات اليأس، والخوف والطمع من عدم إدراكه، ويأتي السلم كالآتي:

ن: الرجوع إلى اللّه خوفا و طمعا

أجل

أرجى

أحوج

[1]– إنّ هذا النمط من التأليف المعجمي له أهمية في الدرس اللّغوي، لأنه يوضح الخصائص التي تتسم بها اللغة موضوع الدرس من حيث اللفظة المفردة ومكانها في الاستعمال غير أن الثعالبي لم يكن يتحرى تقديم كتاب شامل في هذا الموضوع، لأنه كان يكتفي بإيراد ألفاظ كثيرة في الموضوعات التي تناولها ومن هذا القسم من كتابه حيث يقول في أوائل الأشياء" الصبح أول النهار، الغسق أول اللّيل، الوسمي أول المطر اللّعاع أول الزرع..."ينظر : شكري المبخوت ، المرجع السابق ، ص 363.

[2]– ابن الجوزي، المواعظ و المجالس، ص 219

فالصفة التي وقعت أسفل السّلم " أحوج " هي أقل أقوال السّلم الحجاجي في حين نجد أجل إلي وقعت أعلى السّلم هي التي تحوي السّمة التأثيرية في النفس خاصة وأنّها تكون نتيجة الخوف من الله وقد قصد ابن الجوزي أجلّ للوصول إلى التّعظيم.

ب- سلمية الصّرف

إن السّلمية في اللغة كامنة فيها كجهاز بجميع مستوياته ويمكن القول أنّ سلمية الجهاز تتجاوز المستوى المعجمي في ذاته إلى الجانب الصرفي التصريفي وحسبنا دليلا نظام الزيادة في المعجم وطريقة تكوّن المفردة في اللغة بالزيادة أو الاشتقاق[1].

ولئن كانت السلمية في المعجم تدل عليها الوظيفة المرجعية للغة فإنّ سلمية النظام الصّرفي تكشفه المفردة في حدّ ذاتها في مستوى تكوّنها ويظهر ذلك فيما يصطلح عليه بتعميق دلالة اللّفظ في السلم بزيادة الحركة الطويلة والتضعيف للحصول على صيغة المبالغة مثلاً[2].

و الملاحظ أن ما توفره اللغة من صيغ صرفية من اسم الفاعل و أسماء التفضيل و الصفة المشبهة و صيغ المبالغة و صيغ التعجب كلها تؤكد سلمية اللغة.

و يمكن التمثيل لذلك من خلال السلم

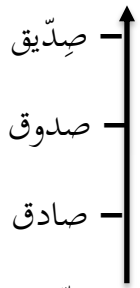

فالانتقال من صادق إلى صدوق ومن صدوق إلى صدّيق في ما يظهر قد استدعته الوظيفة الحجاجية للغة، وبالتالي رُقِيٌ وقع الكلمة من خلال موقعها في السّلم الحجاجي إذ الانتقال من صيغة إلى أخرى بما يقتضيه هذا الانتقال من زيادة؛ إنّما هو في الحقيقة انتقال من درجة إلى أخرى في السّلم.

---

[1]- ينظر : عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ، تونس ، ط1، 2011، ص125

[2]- المرجع نفسه، ص126

يؤكد الدكتور عز الدين النّاجح أنّ اسم الفاعل أقلّ تعبيراً عن المعنى من الصّفة المشبهة التي تدل على ملازمة الموصوف للصّفة وصيغة المبالغة أقوى منها لاحتوائها على مقولة العدد والكثرة.[1]

وقد استعمل ابن الجوزي في موعظته "رياح الزفرات" صيغ المبالغة وأسماء المفعول لتبيان عظم ما يرى من ندم وحسرة على التقصير في حق الخالق فيقول: " **يا أخي: عَصَفَتْ رياح الزّفرات من قلب المشُوقِ فَأَجَجَتْ نارَ الأسفِ على فراق المعشوق، فلو رَأَيْتَ كيف شؤونهم على اختلاف شجونهم، لرأيت أمراً مهولاً، و لرأيت رِمْعاً همولا، هذا يعاقب نفسه على التقصير وهذا يتفكر في أَهْوالِ المصِيرِ وهذا يخاف من ناقد بصير، منازل تعبدهم مشاوحة ،وفي كل بيت لهم نائحة التائب يقول: أنا المُقِرُّ على نفسي بالجناية** "[2]

و يظهر ها هنا استخدام ابن الجوزي لاسم المفعول واسم الفاعل ومنتهى الجموع، والغرض منها التأثير في السامع، وقد جاءت متدرجة حسب تأثيرها في سلمية صرفية. فجاء اسم المفعول في لفظة معشوق ثم استخدم الصّفة بصيغة مفعول في لفظتي مهولاً و همولاً، ثم منتهى الجموع في منازل، وفي هذا التدرج يظهر أن ابن الجوزي قد استعمل هذه الصيغ الصرفية للتأثير في السامع وتحريك مشاعره لتدارك ما فاته.

كما نجده قد استعمل بتتابع صرفي كلا من صيغة التعجب واسم الفاعل في موعظة "حقيقة المصيبة" بقوله:" **يا هذا ما أعظم المصيبة على من فقد قلبا واعيا !، و ما أسرع العقوبة إلى من عدم طرفا باكيا !، و ما أكثر حسرة من كان أمره ساهيا !، و ما أدوم ندامة من أمسى و أصبح لاهيا ! لقد غلب على قلوبنا الهوى فتملكها، و استحوذ على نفوسنا الطمع فأهلكها ...**" [3]

فقد وردت في هذه الموعظة العديد من صيغ التعجب على وزن ما أفعل، وغرضها إظهار الشعور الداخلي للإمام ابن الجوزي بسبب ما يراه من لهو وسهو وبعد عن الخالق، فقد استعمل على الترتيب الملفوظات: ما أعظم، ما أسرع، ما أكثر، ما أدوم و هي صيغ تدل مستقلة على التعظيم في الايجاب، لكنها هاهنا استعملت للتعظيم في السلب أي تعظيم الأخطاء وذم أصحابها.

---

[1]- عز الدين الناجح ، المرجع السابق ص 126

[2]- ابن الجوزي ، المواعظ و المجالس ،ص ص 97.96

[3]- المرجع نفسه ، ص 271

كما وردت أسماء الأفعال متسلسلة أيضا متمثلة في الملفوظات: واعيا، باكيا، ساهيا، لاهيا وغرضها تعظيم الجرم لفاعله.

ج- سلمية النظام البلاغي

"يقصد بسلمية النظام البلاغي ما يوفره المكوّن البلاغي للملفوظ من قيمة مضافة عبر تلوّنات جهازه ليحتلّ درجة مهمّة من السّلم الحجاجي وبالتالي يكون ذا طاقة حجاجية تدفع المستمع أو المتلقي إلى الإذعان والتسليم"[1].

والحقيقة أنّ سلمية النظام البلاغي يمكن ادراكها بادئ الأمر من خلال درجت الخطاب (الحقيقة، المجاز) والمجاز في حدّ ذاته قائم على التراتبية ويمكن الاستدلال على ذلك بأنواع التشبيه وأضرب الاستعارات و الكنايات.

ويرى عز الدين الناجح من خلال قراءته للتشبيه، وذلك باعتبار معيار مدى خفاء المعنى وظهوره، أنّ سلميته تأتي على النحو التالي[2]:

- التشبيه الضمني
- التشبيه التمثيلي
- التشبيه المقلوب
- التشبيه المجمل
- التشبيه المؤكد
- التشبيه المفصل
- التشبيه التام

[1]- عز الدين الناجح ، المرجع السابق ، ص 128.

[2]- عز الدين الناجح ، المرجع السابق ، ص 129.

"فالمعنى في التشبيه المفصل أكثر جلاء منه في التشبيه الضمني أو التمثيلي" ومعلوم أنّ الحجاج هو لعبة المعنى بين الظهور والإخفاء وأطرف الحجاج وأبعده ما كان فيه المعنى يتراوح بين الظهر والإخفاء، وشأن التشبيه كشأن الاستعارة"[1].

فهي على درجات كما أن التشبيه والاستعارة والكناية هي درجات في سلم البلاغة فأعلى درجات السلم تكون للكناية لما لها من جماليات في النص وأقلّها للتشبيه.

يقول ابن الجوزي في "موعظة الدهر": **"يا مَنْ يَعِظُهُ الدّهْر ولا تقبل، وينذره القهر ثم يَرْحَلُ، ويضم العيب إلى الشيب وبئس ما يفعل، كن كيف شِئْتَ فإنّما تُجَازى بم تعمل"**[2].

حيث ذكر ابن الجوزي الاستعارة المكنية في قوله: "يا من يعظه الدّهر ولا تَقْبَلُ" حيث شبه الدهر بالواعظ أي الإنسان فحذف المشبه به وأبقى على لازمته وهي الوعظ، والغرض منها هنا تبيان أثر تجارب الحياة وما يحدث فيها من أفراح و أقراح إلاّ أنّ الفرد العاصي لا يتعظ مما يصيبه في الدّهر وفي قوله: "وينذره القهر ثم يرحل" هنا أيضا استعارة مكنية حيث شبّه القهر بالإنسان الذي ينذر ويرحل فحذف المشبه به وأبقى على لازمته لنجد الكناية في قوله: "ويضم العيب إلى الشيب وبئس ما يفعل" وهي كناية عن كثرة معاصي الفرد حتى أنّه يصر عليها إلى غاية مشيبه .

فنجد أن ابن الجوزي قد وضع سلمية حجاجية في هذه الموعظة من خلال إدراجه لصور البيان وغرضه التأثير في نفس المتلقي وحمله على الإذعان وإتباع الموعظة وترهيبه من العاقبة، ونجد سلمية كالآتي:

ن: الجزاء من جنس العمل

ويضم العيب إلى الشيب وبئس ما يفعل – كناية

وينذره القهر ثم يرحل – استعارة مكنية معقدة

يا من يعظه الدّهر ولا تَقْبَلُ – استعارة مكنية مفهومة

[1]– الاستعارة: تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه وهي نوعان: استعارة تصريحية: حذف فيها المشبه وصرح بالمشبه به ، أما المكنية وهي التي حذف فيها المشبه به وهو الركن الثاني وبقيت صفة من صفاته وهناك من يضيف الاستعارة التمثيلية والتي أصلها تشبيه تمثيلي حذف منه المشبه وتكثر في الأمثال نحو: "رجَعَ بخُفِي حنين" .ينظر : عز الدين الناجح ، المرجع نفسه ، 129

[2]– ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 64.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن سلمية اللغة مبثوثة في جميع أنظمتها يكمل بعضها بعضا، ولا سيما إذا أضيف عامل المقام، أو وضعيات الخطاب، فإنها تساعدنا على اكتشاف هذه السلمية، على غرار ما صرح به انسكومبر و ديكرو، من أنّ الوظيفة الأولية للغة هي الوظيفة الحجاجية[1]، ويقتضي إظهار أن تكون اللغة سلمية تراتبية كيفما تتفاضل الأقوال و تنماز نجاعتها في استمالة المتلقي وضمان تسليمه وإذعانه.

4- قوانين السلم الحجاجي

وهي قوانين تحكم السلم الحجاجي باعتباره مجموعة غير منتهية من الأقوال مزوّدة بعلاقة تراتبية ومستوفية للشرطين التاليين[2]:

- كل قول يقع على مرتبة ما من السّلم يلزم عنه ما يُؤَدّى قبله وعليه تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى كل الأقوال التي دونه.
- كل قول كان في السّلم دليل على مدلول معينٍ كان ما يعلوه مرتبة دليل أقوى منه.

ومن هنا نجد أن للسّلم الحجاجي ثلاثة قوانين وهي:

أ- قانون الخفض

مقتضى هذا القانون أنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلم، فإّن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع دونها، ويمكن أن يرمز له.[3] (لا- ن)، فعندما نستعمل جملة من قبيل ما أورده ابن الجوزي في موعظة "عودة الإنسان إلى الحق" في قوله: **"يا هذا إن لم تقدر على كثرة العمل قف على باب الصُلب[4]، وتعرض لجذبة من جذبات[5]الحق، ففي لحظة أَفْلَحَ السّحرة."[6]**

فقوله: "لم تقدر على كثرة العمل" يمكن تأويله إلى:

---

[1]- عز الدين الناجح، المرجع السابق، ص127

[2]- طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، 106.105

[3]- ينظر : ابو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص77.

[4]- باب الصلب: الباب القوي الشديد ويقصد الدعاء للخالق. ينظر: ابن الجوزي ،المواعظ والمجالس، ص24.

[5]- جذبة من جذبات الحق: وهو مرتبة المحبوبية والمرادية المجذوبية المطلوبية لأهل الكمال من السّادة الصوفية. لذا قالوا جذبة من جذبات الحق توازي حمل الثقيلين. ينظر: القاضي عياض، شرح الشفاء، شرحه : الملا على الفاري الهروي الحذفي، ضبطه وصححه: عبد الله محمد خليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ح1، ص220.

[6]- ينظر: ابن الجوزي، المواعظ و المجالس، ص 24.

ـ إن لم تقدر على كثرة العمل فأنت تقدر على الدّعاء، وطلب محبة الخالق على طريقة الصوفية.
وعليه يمكننا أن نضع للقول صيغة رمزية و تمثيلا سلميا :

التمثيل السلمي :

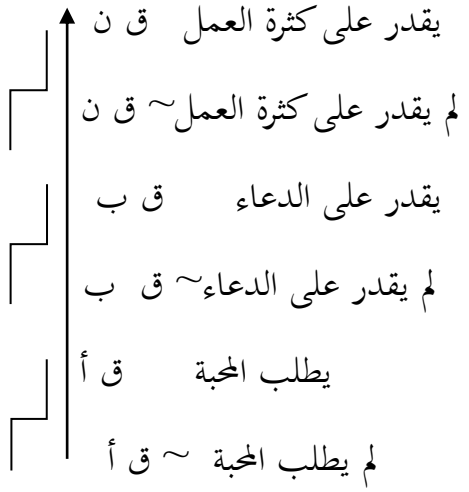

مع العلم أن كل من (أ، ب،... ن) هي أقوال طبيعية والعلامة⟸ هي اللّزوم.

والعلامة"~" تدل على النفي والعلامة على الشكل " ⌊ " هي العلاقة التراتبية من الإثبات إلى النفي أو الخفض[1].

وعليه نجد:

كل(ق أ ⟸ ~ ق أ) v(ق ب ⟸ ~ ق ب).....v(ق ن ⟸ ~ ق ن).

ب- قانون تبديل السلم

"إذا كان القول "أ" مستخدماً من طرف متكلم ما ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه (~ أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة "ن" فإن "~ أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة "لا – ن" "[2].

ويمكن الاستدلال لذلك بموعظة الإمام ابن الجوزي بعنوان "حكاية إبليس لعنه الله" **قال: "يروى أنّ إبليس لعنه الله، بعث جنوده في زمن الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا مقهورين فقال: ما شأنكم؟ قالو: ما رأينا مثل هؤلاء القوم كلما نجتهد في أن نصيب منهم شيئًا، فلم**

---

[1]- طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، 276

[2]- أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 22

نقدر عليه، وقد أعيانا أمرهم، قال: إنّكم لن تقدروا على هؤلاء لأنّهم صحبوا نبيهم وصدّقوا تنزيل ربّهم..."[1].

فإذا قلنا:

- صحبوا نبيهم، وصدّقوا تنزيل ربّهم لم ينجح الشيطان في إغوائهم.
- لم يصحبوا نبيهم، ولم يصدّقوا تنزيل ربّهم، نجح الشيطان في إغوائهم.

يأتي السلم على النحو التالي:

ن: نجحوا في امتحان إيمانهم. لا –ن: لم ينجحوا في امتحان إيمانهم

ق ب ↑ صدقوا التنزيل. ق~ ب ↑ لم يصدقوا التنزيل

ق أ ↑ صحبوا نبيهم ق~ أ ↑ لم يصحبوا نبيهم

وعليه الحجج التي قدّمها جنود إبليس عن صحابة النبي – عليه الصلاة والسلام – (أ، ب) مدرّجة عبر السلم الحجاجي لتخدم نتيجة معينة وهي نجاحهم في امتحان إيمانهم أو عدم قدرة جنود إبليس على إغوائهم، وإنّ نفي الأقوال (~ أ، ~ ب) ستكون حججًا لصالح النتيجة المضادة وهي أنّ صحابة النبي لم ينجحوا في امتحان إيمانهم وأن جنود إبليس تمكنوا من إغوائهم.

ج- قانون القلب

هو قانون مرتبط بالنفي، ومفاده أنّ السّلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الاثباتية بمعنى أنّه إذا كان "أ" أقوى من "أ" بالقياس إلى النتيجة "ن"، فإنّ "~ أ" بالقياس إلى "لا- ن" وهو ما ذهب إليه طه عبد الرحمان بقوله: "إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيّن، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول.[2]ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال أبيات الشعر التي وردت في موعظة "زهد أولاد ملك من بني إسرائيل"

قال:

---

[1]- ابن الجوزي ، المواعظ و المجالس ، ص 126

[2]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص278.

دَعُـوهُ لا تلومـون دَعُـــوهُ فقـد عَلِـمَ الذي لم تعلموه.

رأى عَلَمَ الهدى فسمى إِلَيْهِ وفـــاز بِمَطْلَـبٍ لـم تطلبـوه.

لعمري ذاك مِنْ فَطِن لبيبٍ تذوّق مطعمًا لم تطعمـوه.[1]

وفي هذه الأبيات خلاصة لقصّة زهد أولاد ملك من بني إسرائيل حيث أنّ الملك كان له أولاد كلما بلغ أحدهم أشده لزم العبّاد حتّى يموت فلما كبر وخاف على ملكه أراد أن يحبب لصغيرهم الدنيا لكنه أبى ذلك وكان في كل مرة يطلب الاطلاع على ما في المكان الموضوع فيه فما كان من أبيه إلاّ أن تركه وفي هذه الأبيات يظهر أنّ الدّنيا هي مرحلة للاجتياز وليس للحيازة.

فيمكن أن نمثّل لهذه الأبيات بواسطة السلمين الحجاجين التاليين.

ق1 ⟵ حصل ولد الملك على العلم وفاز بمطلبه.

ق2⟵ لم يحصل ولد الملك على مطلبه بل لم يدرك العلم.

ن: ولد الملك بصر بالدنيا	لا- ن: لم يبصر بالدنيا
ولد الملك فاز بمطلبه أ	~ أ ولد الملك لم يتوصل إلى العلم.
ولد الملك توصل للعلم أ	~ أ ولد الملك لم يفز بمطلبه.

وعليه فحصول ابن الملك على مطلبه ومبتغاه دليل على نيله للعم وتمكنه منه وهو تبصره بالدنيا وأحوالها وادراكه أنّ عيش الانسان فيها عيش كدر غير صافٍ، في حين عدم توصّله للعلم هو الحجة الأقوى على عدم فوزه بمطلبه.

فهناك إذًا علاقة تراتبية بين العلم وجائزته على اعتبار قوة الايمان بوجود الخالق.

ومن الملاحظ من هذه القوانين للسلم الحجاجي أنّها تهدف في أساسها إلى تأكيد نتيجة ما، تسبقها مقدّمات بغية تحقيق قضية ما أو دحضها نظرا لخطئها من وجهة نظر أخرى .

[1]- ابن الجوزي، المرجع السابق ، ص 19

II- آليات السّلالم الحجاجية في مواعظ ابن الجوزي

إنّ الحجاج في اللّغة لا يتحقق إلاّ بالسّلم الحجاجي، وهذا باستعماله آليات لغوية و اخرى غير لغوية تضم خاصية التراتبية في الحجج .

و في نظر بلونتان "هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"[1]، أيأن نبحث في كيفية انتظام الإنتاج الحجاجي للخطاب ضمن سلمية اللغة، من خلال الوقوف على الروابط الحجاجية، ودورها في توجيه الحجاج الوجهة التي تخدم النتيجة. فهناك بعض الأدوات اللّغوية التي يكمن دورها في الرّبط الحجاجي بين قولين أو أكثر، وترتيب درجتها بوصفها حججاً في الخطاب، ومن هذه الرّوابط : الواو، حتى، لكن. لكن قبل التطرق إلى هذه الرّوابط الحجاجية وجب علينا تعريف الرابط الحجاجي و تمييزه عن العامل الحجاجي وذكر أهم المتغيرات الحجاجية التي يحدثها في الخطاب الحجاجي الوعظي.

1- الرّوابط الحجاجية

أ - مفهوم الرابط الحجاجي

تشتمل اللّغة على أدوات دالة على معان؛ منها ما سماه النحاة بـ"حروف المعاني" وسميت بذلك لأنّ: "وضعها على أن تفضي بمعاني الأفعال على الأسماء"[2] أي وضعت للمعاني الموصلة بين الاسم والاسم، وبين الاسم والصّفة، وبين المخبر عنه والخبر فالكلمة إمّا أن تدل على الذات وإما على معنى مجرد، وإما أن تربط بين الذات والمعنى معًا، فالاسم يدل على الذات والفعل يدل على المعنى المجرد، والحرف هو الرّابط.

هذه الأدوات والرّوابط تثري العربية بأساليب كثيرة ومتنوعة، صالحة لمقامات تواصلية متباينة حسب إرادة المتكلم وقصده، وقد اهتم النحاة العرب بهذه الرّوابط وعقدوا لها أبواباً وتقسيمات،

ونظراً للأهمية التي تكتسيها قال المرادي: "فإنّه لَمّا كانت مقاصد كلام العرب، على اختلاف صنوفها، مبنيا أكثرها على معاني حروفه، صرفت الهمم إلى تحصيلها.

---

[1]- ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 217.

[2]- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، المفصل في صنعة الأعراب، تح: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993، ص379.

ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها، وتيسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعُدَ غورها، فعزت على الأذهان معانيها وأَبَتِ الإذعان إلى لمن يعانيها"[1]وهذا القول يبين ويؤكد الدور الهام الذي تلعبه هذه الروابط في التعبير و التحاجج ولذلك صحّ في تصورنا." أن تعدّ تلك المعاني والإفادات والمقاصد أفعالاً كلامية ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو ذاتية، أي ترمي إلى التأثير في المخاطب بحمله على فعل أو ترك، أو دعوة، أو تقرير أو تأكيد أو نفي أو وعد..."[2].

وقد اعتبر النحاة الحرف أنّه ما دلّ على معنى في غيره ومن ثمّ لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه."[3]

إلاّ أنّهم اختلفوا في معنى الحرف المستعمل للدلالة عليه: أهو معنى قائم في الحرف نفسه؟ أم هو قائم على غيره؟[4]

كما أنّ بعض المناطقة صنفوا الحروف إلى مجموعات، ولعل من أهمّها ما ذكره الفارابي في قوله:" إنّه من الألفاظ الدّالة تلك التي يسميها النحويون الحروف التي وضعت للدلالة على معانٍ وهذه الحروف هي أيضا أصناف كثيرة... من أهل اللّسان اليوناني فإنهم أفردوا كل صنف منها باسم خاص، فصنف يُسَمُّونه الخوالف، وصنف منها يسمونه الواصلات، وصنف منها يسمونه الواسطة، وصنف منها يسمونه الحواشي، وصنف منها يسمونه الرّوابط."[5]

---

[1]– الحسن بن القاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1992، ص 19.

[2]– صابر الحباشة ، التداولية و الحجاج ، مداخل و نصوص ،صفحات للدراسات و النشر، دمشق ،سوريا ، ص71

[3]– مسعود صحراوي ، المرجع السابق، ص218.

[4]– ذهب أغلب النحاة أن معنى الحرف قائم في غيره، وقضية معنى الحرف من المسائل المشتركة بين علم النحو وعلم الأصول وفيه وجهات نظر منها: الحرف معناه في نفسه: ويراد بذلك أنّ الحرف يدل على معناه، كما يدل نظيراه الاسم والفعل ويدل على معناه منفرداً أو داخل جملة. فالحرف هو الآخر يدل على معناه بنفسه داخل الجملة أو خارجها ويستدلون على ذلك أنّ كلمة "فوق" منفردة تدل على العلو، وفي الجملة لها نفس المعنى إذا قلنا "الطائر فوق الغصن" ويرى ابن هشام أن النحاس الحلبي يذهب إلى أن الحرف معناه في نفسه على خلاف النحاة قاطبه على أن معناه في غيره وأيده في ذلك ابو حيان الأندلسي، وأما الحرف معناه في غيره وهو الرأي المشهور عند النحاة وممن نصّ عليه سيبويه" فالكلم اسم وفعل وحرف جاء بمعنى ليس باسم ولا فعل "ويرى ابن عقيل ان الكلمة اذا لم تدل على معنى في نفسها، وانما في غيرها فهي حرف، فان عبارة في غيرها تدل على افتقار اللفظ في دلالته ما يحتاج الى الحرف الرابط إلى اقترانه بالألفاظ الأخرى ليحيل على دلالتها ومعناها. ينظر: مسعود صحراوي ، المرجع السابق ، ص ص 219 .220.

[5] – المرجع نفسه، ص 220.

بناءً على ما ذهب إليه الفارابي من تحديده للمصطلحات المنطقية لحروف المعاني الأنفة الذكر فإنّ ذلك لا يتأكد من خلال موقعها من الكلام، ولكن لارتباطها بمعطيات سياقية واضحة في الاستعمال. وقد اعتبر طه عبد الرحمان ما جاء به الفارابي من استعمال المقولات النحوية اليونانية في تصحيح المقولات النحوية العربية، من قبيل "التقريب المعكوس" هو الإخلال بشرط التداول الأصلي...."[1].

وعليه يمكننا القول أن النظرية النحوية ترتكز على وظيفة معنى الحرف، وذلك أنّ النّحاة. قد حلّلوا العوامل النحوية بدقة وإمعان وركزوا على الدور الأساس للحروف(الروابط) كما أبرزوا ما للدلالة الوظيفية في انجاز الرّبط الداخلي بين المركبات النحوية والحجاجية داخل الجملة.

"أما عند الغرب فيعرف دومنيك مونقانو(Dominique maingueneau) أدوات الوصل أو الرّبط Connecteurبالمور فيمات التي تقيم علاقة بين جملتين وقد يتعلق الأمر بالظروف

(Les adverbes) مثل : مع دلك،رغم...والعطف (Coordination) مثل: الفاء والواو؛ والإتباع، أو الصلة Subordination مثل: لأنّ، بمأنّ...."[2]أوهي حسب موشلار (Mooschlar):" تلك الكلمات الدالة مثل: لكن، إذن، لأنّ، والتي تربط الملفوظات ببعضها البعض، سواء كانت جملاً بسيطة أو مركبة"[3]وعليه فهذه الأدوات أو الرّوابط تؤدي دوراً مهما في الخطاب من حيث أنّها تضفي الاتساق والانسجام عليه.

إن الرّابط الحجاجي هو وحدة لغوية تربط بين ملفوظين أو أكثر، وعلى هذا يكون معطى لغويا من بنية الكلام يربط بين الأقوال ولكل رابط من هذه الرّوابط دور محدد داخل هذه الوظيفة.[4] ويميز ديكرو بين نوعين من المؤشرات التي تتحقق بها الوظيفة الحجاجية.

---

[1]- طه عبد الرحمان ، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط، 2005،ص 336.

[2]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص9.

[3]- المرجع نفسه، ص ص: 10.9.

[4]- ابو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 57

النوع الأول: العوامل الحجاجية فهي روابط لا تربط بين الأقوال أو الحجج ونتائجها على نحو مباشر ولكنّها تقيد أو تحصر الإمكانات الحجاجية المختلفة لقول ما، من مثل: ما....إلاّ، ربما تقريبا، منذ، قليلاً، كثيراً...[1]

فالعامل الحجاجي من شأنه أن يقوي درجة التوجيه في الخطاب" يقول ديكرو: إنّ وجود بعض الصرافم في بعض الجمل يعطيها توجيها حجاجيا.... للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها."[2]

وأمّا **النوع الثاني**: تمثّله الروابط الحجاجية نحو: لكن، لأنّ، الواو، الفاء، بل، إذن، حتى، إذا، وغيرها وهي تلعب دور الرابط بين الأفعال الانجازية[3]

فجاء مفهوم الرّوابط الحجاجية في مختلف مراحل نظرية ديكروDucrot لا يقتصر على ربط المقاطع الخطابية، وإنّما يصل الوحدات الدلالية، التي يضفي عليها ضرباً من التوجيه، والقوة الحجاجية الواصلة، وهو ما جعل دراسة الوصائل عند ديكرو تهتم بالجانب التواصلي من الناحية الدلالية، و الحجاجية.[4]

ب- المتغيرات الحجاجية للرابط الحجاجي

من خلال معالجة النّحاة للحروف في اللغة العربية يظهر أنّهم قسموها حسب السّياقات التي وردت فيها، والوظائف التي أنجزتها، والمعاني التي حققتها ويمكن أن نلخص هذه المتغيرات فيما يأتي[5]:

– **وظيفة الرّبط**: و تكون الحروف فيها رابطة بين اسمين أو فعلين (كحروف العطف) أو أن تكون رابطاً بين فعل واسم (كحرف الجرّ) أو أن تكون رابطاً بين جملتين (الشرط).

– **وظيفة المعنى**: أن تدل على معنى في الفعل (كالسّين و سوف) أو أن تدل على معنى الاسم(الألف واللام)، وهناك من يطلق على هذه الوظيفة وظيفة النّقل التي ينقل فيها من معنى جديد إلى مدخوله (كحروف النفي، الاستفهام، التخصيص، التعريف).

---

[1]– عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص10

[2]– نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائرة لابن الأثير ، مذكرة مقدمة لرسالة الماجستير ، إشراف عمر بالخير ، جامعة تيزي وزو ، 2012، ص 90

[3]– عز الدين الناجح، المرجع السابق، ص10

[4]– المرجع نفسه ، ص 11

[5]– ينظر: صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص 221

– **وظيفة العمل**:"هناك من الحروف ما يعمل في اللّفظ و المعنى معاً مثل: ليس زيد قائما، وهناك ما يعمل في اللّفظ دون المعنى نحو: ما جاءني من أحدٍ، وهناك من يعمل في المعنى دون اللّفظ نحو: هل زيد قائم؟ وهناك من يعمل في اللّفظ والمعنى معاً. ولا يعمل في الحكم نحو: لا أبا لِزَيْدٍ"[1].

وقد ظلت هذه الوظائف محل آراء ووجهات نظر مبسوطة وموجزة في أغلبها حتى شكلت منظوراً خاصاً عرفته بعض مذاهب وتوجهات النّحاة التي يمكن أن تشكل في ما بعد نظريات متميزة في دراسة الحروف وتقسيماتها[2]، وفي هذا المجال حدد رشيد الراضي أهم المعايير التي تطرأ على الرّابط الحجاجي، ولعل أهمها:

- معيار عدد المتغيرات، وهي المتغيرات الحجاجية التي يربط بينها الرابط الحجاجي فإمّا أن يكون الرّابط محمولاً بين موقعين و إما أكثر .
- معيار وظيفة الرابط: وهنا يمكن التمييز بين فئتين من الرّوابط
  أ- فئة الرّوابط التي وظيفتها سوق الحجة: "حتى".
  ب- فئة الرّوابط التي وظيفتها سوق النتيجة: مثل: الرابط "مع ذلك".
- معيار العلاقة بين الحجج التي يسوقها الرابط وهنا تظهر لنا فئتين هما:
  أ – فئة الروابط التي حججها متعارضة مثل: زيد ذكي، لكنه مهمل.
  ب – فئة الروابط التي تكون حججها متوافقة مثل: زيد يتقن السّباحة والرّماية وحتّى ركوب الخيل.[3]

وعليه فمن خلال القول الذي قدمه "رشيد الراضي" حول أهم التحولات التي تطرأ على الرّابط الحجاجي، ويمكننا أن نميّز بين ثلاثة أنواع من الرّوابط.

أوّلها: الرّوابط المدرجة للحجج مثل: حتى، بل، لكن، لأنّ والرّوابط المدرجة للنتائج مثل: إذن، لهذا، بالتالي ... وغيرها.

ثانيها: الرّوابط التي تدرج حججا قوية مثل: حتى، بل، لكن، لاسيما... والرّوابط التي تدرج حججا ضعيفة.

---

[1]– صحراوي مسعود ، المرجع السابق، ص 222

[2]– ينظر: صابر الحباشة ، التداولية والحجاج(الخلط الاصطلاحي في البحوث والمقاربات الحجاجية)،ص46.

[3]– رشيد الراضي ، الحجاجيات اللّسانية والمنهجية والنبوية، من خلال مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص79.

ثالثها: روابط التعارض الحجاجي مثل: بل، لكن، مع ذلك....، وروابط التساوق الحجاجي مثل: حتى، لاسيما... وغيرها.[1]

ولهذه الروباط أهمية كبيرة في بناء السلمية الحجاجية وتدرجها، ويتضح ذلك من خلال مواعظ ابن الجووزي.

ج- نماذج الروابط الحجاجية في مدونة المواعظ و المجالس

حينما نتحدث عن موضوع الحجاج في الرّوابط الحجاجية، فإننا نجد معانيها تؤسس على علاقات استدلالية في ربطها بوحدات الخطاب، باعتباره يتضمن غالباً مقدمتين ونتيجة وفي ربط النتيجة بالمقدمتين السّابقتين نجد حضوراً للربط الدلالي بواسطة هذه الرّوابط التي تحمل علاقات قوية ومنطقية.

* الرّابط الحجاجي "حتى" (Même):

"لقد أقرّ التداوليون المعاصرون أن الخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية هي أن تكون سلمية وتراتبية، وسبب تسميتها بهذه الصّفة يعود إلى ما يوفره الرّابط الحجاجي من تقوية للحجة، حتّى يجعلها درجية قوةً أو ضعفاً. فقد ميز كل من موشلار و روبول بين نوعين من الروابط connecteur، الرّابط اللّساني، والرّابط الحجاجي فالأول يكمن في تلك العلاقة اللّسانية التي تربط بين فعلين كلاميين داخل الملفوظ نفسه، أمّا الثاني وهو الرّابط الحجاجي Argumentatif فيسمى بهذه التسمية عندما يحقق شرط ترابطه بين فعلين حجاجيين، والذي ينجز الملفوظ فيه الوظيفة الحجاجية".[2] وعليه فإنّ الرّابط الحجاجي هو المحرّك الأساس للعلاقات الحجاجية داخل الملفوظ والقسم الحجاجي معاً.

وبهذا ينزل الملفوظ في درجته الحقيقية من السّلم الحجاجي فيكون أقرب تحقيقا للنتيجة، فالرّابط "حتى" في الملفوظ يساعد على تقوية إيقان المتلقي بالنتيجة، بل إنّ العامل قبل ذلك يرسم له صورة الطريق الذي ينبغي عليه أن يسلكه للوصول إلى النتيجة، وهو في أثناء ذلك يقوي النتيجة التي يريد

---

[1]- أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص65.

[2]- المرجع نفسه ، ص 66.

الملفوظ إيصالها، فيتمثل دور هذا الرابط في "إدراج حجة جديدة أقوى من الحجّة المذكورة قبله والحجّتان تخدمان نتيجة واحدة، ولكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية.[1]

أمّا عند النحويين العرب فجاء الرّابط "حتى" لانتهاء الغاية[2]، فتأتي "حتى" على أربعة أوجه: إمّا ناصبة، أو جارة أو حرف ابتداء وقد تجيء للعطف فيكون المعطوف إمّا أفضل أو أخس على اعتبار التفتازاني[3]، وزاد بعضهم "وجها خامساً وهو أن يكون بمعنى الفاء".[4]

ويمكن أن نمثل الرّابط الحجاجي "حتى" من خلال دراسة نموذج من مواعظ ابن الجوزي منها قوله في موعظة "يا مكرماً بحلية الإيمان": **"اسمعْ يا مكرماً بحلية الإيمان بعد حُلَّةِ الإيجاد وهو مخلقها في مخالفة الخالق إلى متى يخدعك المنى؟ ويغرك الأمل؟ عجباً لك!! يتأمل الحيوان البهيمي العواقب وأنت لا تدري الحاضر، أما تكاد تهتم بمؤونة الصيف حتّى يشتد الصّيف، وبمؤونة الشتاء حتّى يقوى البرد، ومن هذه صفته في أمر دنياه ﴿فَهُو فِي الآخِرَةِ أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلَا﴾ [سورة الإسراء،الآية72]، أتراك ما عملت رِجْلَيْكَ إلى القبر فهل لا تعبث بفراش ﴿فَلأنْفُسِهم يَمهدُون﴾[الروم، الآية42]، من ركب ظهر التفريط نزل به دار الندامة، ألم تسمع أن داود كان قد أعطي نعمة حتّى كان يقف له الماء والطير فامتدت يد الغفلة فقدت قميص العصمة فأثرت حتّى في التلاوة".**[5]

فلا نفهم دلالة الرّابط "حتى" إلاّ حين نردّه إلى سياقه العام، وذلك حين أراد ابن الجوزي—رحمه الله– أن يذكر المؤمنين أنّ الله أكرمهم بحلية الإيمان بعد كفرهم وهم في غفلة بسبب طمعهم في الدّنيا ويورد هنا ابن الجوزي وجه مقارنة مع الحيوان الذي يدرك عاقبة عدم تفكره في مؤونته في الصّيف قبل اشتداد الحرارة وفي الشتاء قبل اشتداد البرد، أمّا بالنسبة للمؤمن فمؤونته العمل للآخرة واتباع أوامر

---

[1]- ينظر: الفارضي محمد علي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تحت إشراف عبد الله صولا ص387.

[2]– الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص92

[3]– هو سعد الملة و الدين أبو مسعود بن عمر بن محمد ، الفقيه النحوي البلاغي المنطقي ، ولد بخرسان سنة 722 هـ .ينظر : أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ،ص 66

[4]– حتّى من حروف المعاني، ولها عدة استعمالات، حرف حرّ نحو: قوله تعالى:﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ﴾ [القدر، الآية5]، حرف نصب نحو قوله تعالى:﴿ فاصْبِرُوا حَتَّى يحْكُمَ الله بَيْنَنَا﴾[سورة الأعراف الآية87]، حرف عطف: وصل القوم كلّهم حتى المشاة. ينظر: المرادي، المرجع السابق، ص92.

[5]– ابن الجوزي، المواعظ و المجالس، ص31

خالقه، والعمل على عدم مخالفته ومعصيته فمن عصا خالقه يحشر أعمى، ويضل سبيله .مدعما رأيه بآية قرآنية، ويورد حجة أخرى بقوله من ركب ظهر التفريط نزل به دار الندامة وهي استعارة مكنية غرضها التخويف والتذكير بالعواقب.

ويسترسل ابن الجوزي بحجة ويذكر ما كان لداود من نعم الله وما سخّره له الله لخدمته من الماء والرّيح والطير فلما كانت منه الغفلة غضب الله عليه وأزال تلك النعم، فغفلته تلك جعلته يضعف على تلاوة الزّبور.

ففي هذا النموذج من الموعظة يتعلّق الأمر ب"حتى" الحجاجية، فقد ربطت حتّى بين حجّتين لها التوجه الحجاجي نفسه: "أما تكاد تهتم بمؤونة الصّيف" و " يشتدّ الصّيف" وهما تخدمان نتيجة واحدة وهي الاستعداد للآخرة، العمل في الدنيا بالأعمال الصالحة يسبق عرضها يوم القيامة.

وفي الحجة الثانية قوله: "وبمؤونة الشّتاء" و "يقوى البرد" فهما تخدمان نتيجة واحدة وهي الاستعداد ليوم الحساب، فهنا الرّابط الحجاجي "حتى" جاء حرف غاية.

الشيء نفسه ينطبق على قوله: "إنّ داود قد أعطي نعمة حتّى كان يقف له الماء والطّير" فالرّابط حتّى ربط بين حجتين لكّن الثانية أقوى من ناحية الحجاجية فقوله: "أعطي نعمة" أقل من الناحية الحجاجية بالنسبة لقوله: "يقف له الماء والطير" فالأولى عامة والثانية فيها تخصيص تجعل المتلقي يدرك عظم تلك النّعم التّي سخّرها الله سبحانه وتعالى لخدمة داود عليه السّلام.

وفي قوله: "وامتدت يد الغفلة فقدت قميص العصمة فأثرت حتّى في التلاوة" جاءت حتّى هنا رابطة بين المقدمات وحجة أولى والحجة الثانية فالمقدمات في قوله: "امتدّت يد الغفلة" و "وفقدت قميص العصمة" والحجة في قوله: "فأثرت" والحجة الثانية في قوله: "في التلاوة". فالمقدمات غرضها تبيين السبب وجاءت في شكل استعارة مكنية، و أما الحجة الأولى تظهر في تأثير الغفلة على مرضاة الله سبحانه وتعالى على النبي داود عليه السلام، لتكون الحجة الثانية أقوى من الأولى مسّت أكبر درجات التعبد لله وهي تلاوة كتابه الزبور وعليه فالحجة التي تلي الرّابط الحجاجي "حتى" هي الأقوى، والرّابط هنا غرضه الغاية، فما كان على داود وهو نبي الله أن يغفل عن عباداته. فكان عتاب الله له شديدًا

– استعمالات حجاجية مرادفة للرّابط "حتّى"

سنحاول أن ندرس بعض الاستعمالات الحجاجية المرادفة للرابط "حتّى" نبين قدر المستطاع كيف تنوعت استخداماتها عند النّحاة ويمكن أن نستدل بالأمثلة

قال الشاعر

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزّادَ حتّى نعله ألقاها[1]

فـ"حتّى" جاءت هنا لتربط بين مجموعة من الحجج وهي: "ألقى الصحيفة" " ألقى الزّاد" "ألقى نعله" وهي حجج جاءت متراتبة لتخدم في الأخير نتيجة واحدة وهي الحاجة لتخفيف الحمل لمشقّة السّفر.

وغالبا ما تكون "حتّى" الحجاجية عاطفة، وقد تكون جارة إذا كان ما قبلها داخلاً فيما بعدها، فإذا قلنا "ضربت القوم حتّى زيد" فزيد يجوز أن يكون مضروبا، و عنده انتهى الضرب أو انتهى الضرب به.

وللمعطوف بـ "حتّى" عند النّحاة شرطان[2]:

الأوّل: أن يكون بعض ما قبلها، والثاني أن يكون غاية لما قبلها في زيادة أو نقص والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير وقد اجتمعت في قول الشاعر:؛

قهرنا كم حتّى الكماة فأنتم تهابوننا حتّى بنينا الأصاغر[3]

فالبيت في معناه اللغوي أن الشاعر يفتخر بجيوشهم التي قهرت وهزمت وأذلت جيوش العدو فأصبحوا يهابونهم وفي قوله حتّى "بنينا الأصاغرا" تصغير لشأنهم وتحقير لجيوشهم.

أمّا حجاجيا فقد ربطت "حتّى" بين الحجة والنتيجة وهنا يوافق الوصف الحجاجي الذي قدمه كل من ديكرو و انسكومبر للأداة المقابلة لـ "حتّى" الحجاجية في الفرنسية [1] (Même)، فالحجج

---

[1]– البيت الشعري للمتلمس وقد ورد في قصته لما غضب عليه عمرو بن هند فسيره وطرفة إلى عامله في البحرين مزودين بكتابين فيهما الأمر بقتلهما ولما قرأ الملتمس كتابه وعلم ما فيه رمى به في نهر الحيرة. وهو شاعر جاهلي من أهل البحرين، ويقال أنّه خال طرفة بن العبد ولا توجد صحّة على هذه المقولة واسمه جرير بن عبد العزى، أو عبد المسيح وهو من بني ضبيعة. ينظر: المرادي، المرجع السابق، ص93.

[2]– ينظر: الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، المفصل في صنعة الأعراب، ص388

[3]– البيت بلا نسب عند المرادي، المرجع السابق، ص 94.

المربوطة بواسطة هذا الرّابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنّها تخدم نتيجة واحدة ثم إنّ الحجة التي ترد بعد الرّابط "حتّى" هي الأقوى وهو ما قصده النّحاة بأن يكون ما بعدها غاية لما بلها، فالحجة "تهابوننا" في قول الشاعر والحجة "بنينا الأصاغر" غايتها إذلال القوم وجيوش الخصم والإنقاص من شأنهم والنتيجة ها هنا واحدة هي المفاخرة بقوة جيش الشاعر وفرسانه.

كما أنّ الرّابط الحجاجي "حتّى" يعبّر عن الغاية عندما يستعمل في سياقات ظرفية (زمانية ومكانية) نحو ما ورد في موعظة "انجح الوسائل لطلب الحوائج" حيث ذكر ابن الجوزي – رحمه الله – حكاية " حميد وزوجته" فقال –رحمه الله– :**"كان شاب يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له حميد فسمع ذات يوم قارئاً يقرأ:﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِين﴾[الحجر، الآية: 43]، فلَمْ يَزَلْ باكياً حتّى رجع إلى أهله، فلما جنه الليل صلى ما كتب الله تعالى له، فلمْ ينزل باكيًا متضرعاً إلى الله عزّ وجل حتّى أَصْبَحَ، وكانت له زوجة عاصية وكان قد شكاها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اليوم، فقالت له: يا حميد ما الذي أسهرك في ليلتك هذه وأَبْكَاكَ؟ قال لها: سمعت قارئاَ يقرأ:﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِين﴾[الحجر، الآية: 43] فألقى الله عزّ وجلّ في قلبها خشيةً فقالت: والله لانطلقن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّه يستغفر لي.فقال لها حميد: تمضي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شكوتك له بالأمس؟ قال: فخرجت حتّى أُوقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم ..."**[2]

فالرابط "حتى" في قول ابن الجوزي "فلم يزل باكيا حتى رجع إلى أهله" قد ربط بين الحجة الأولى "فلم يزل باكيا" و "رجع إلى أهله "فالرابط عبر عن الغاية، عندما استعمل في السياق المكاني والنتيجة واحدة وهي الخوف من العقاب وفي قوله: "ولم يزل باكيا متضرعا إلى الله عز وجل حتى أصبح" فالرابط عبر عن الغاية عندما استعمل السياق الزماني وقد ربط بين عدة حجج "باكيا"، "متضرعا" "أصبح" وهي تقود إلى نتيجة واحدة وهي خشية الله والخوف من عقابه.

بالإضافة إلى استعمالات "حتّى" الحجاجية الأنفة الذكر، نجد استعمالات أخرى يكون فيها الرّابط مقابلا لـ: إلى، كي، إلى أنْ .

---

[1]– حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديث، ط1، 2010، ص 172.

[2]– ابن الجوزي ، المواعظ و المجالس ، ص 33

*** "حتى" ك"إلى"**

يقول ابن الجوزي في الموعظة التي وردت فيها حكاية حميد وزوجته فقوله: "فخرجت حتى أوقفت بين يدي رسول الله "جاءت "حتّى" هنا مرادفة لـ "إلى أن" وهي تفيد الغاية بمعنى خرجت زوجته إلى أن وقفت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم و هي غايتها . فإذا كانت "حتّى" مقابلاً لـ "إلى" في انتهاء الغاية .فإن النحاة اعتبروا أنّ "إلى" أمكن منها في مواضع فلا يقال: سِرْتُ من البصرة حتى الكوفة بل الأصح قولنا إلى الكوفة.[1]

*** "حتى هي" "كالواو"**

قد يكون الرابط "حتّى" مرادفًا للواو لمطلق الجمع، وقيل هي للترتيب، قال: ابن مالك زهي دعوى بلا دليل ففي الحديث: "كلّ شيء بقدر حتّى العَجْزِ و الكيْسِ"[2].وليس في القضاء ترتيب وإنما الترتيب في ظهور المقتضيات[3] والرابط "حتّى" جاء بمعنى "الواو" وفي معنى الحديث أن الإيمان بالقدر حتمية مسلم بها والقدر يكون في العجز والكيس أي في القدرة والنشاط فالرابط "حتّى" قد ربط بين الحجة وهي" كل شيء يقدر" والحجة الثانية وهي "العجز" والثالثة "الكيس" والتي تسوق كلها نتيجة واحدة وهي الإيمان بقضاء الله وقدره.

وعليه فإن السلمية يحددها الرابط في حد ذاته، لذلك يرى ابن يعيش في دراسته للرّابط "حتّى" أن الواجب فيها أن يكون ما يعطف بها جزءا من المعطوف عليه إما أفضله كقولك: مات الناس حتى الأنبياء أو دونه كقولك: "قدم الحجيج حتى المشاة"[4]

والمحصل من هذا القول أنّ ما يسبق حتّى وما يليها يجب أن تحكمه علاقة الجزء بالكل وهو ما يظهر بشكل جلي مفهوم السلمية، فما يأتي قبلها أضعف أثرًا في إيصال النتيجة في حين أنّ ما يليها

---

[1]- هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي أنواعه و خصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي) ، إشراف جمال كديك ، جامعة ورقلة ،2003،ص 126.

[2]- كل شيء يقدر بفتح القاف أو الدال، قال النووي المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدّره الله وقضاه وسبق به علمه وإرادته، وقال الرّاغب: القدر بوضعه يدل على القدرة وعلى المقدور الكائن بالعلم ويتضمن الإرادة عقلا، والقول نقلا وحاصله وجود شيء في وقت وعلى حال، والعجز: عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسويف به وتأخيره عن وقته والكيس بفتح الكاف وسكون الياء، ضد العجز ومعناه الحذق في الأمور والنشاط والعمل ومعناه أن العاجز قدر عجزه وكيسَ قدر كيسه. ينظر: المرجع نفسه، ص 127.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[4]- هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي أنواعه و خصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي) ،ص 126

أقوى نجاعة في الحجاج وهذا رجوعًا إلى كون الجزء أكثر إقناعا من الكل نظرًا للتخصيص، وأنّ العام لغموضه أقل نجاعة من الخاص ويمكن تمثيل ذلك في السلمية[1]:

المشاة	الأنبياء.
حتى	حتى
قدم الحج	مات النّاس

وفي باب التأكيد على "حتّى" في البرهنة على سلمية اللّغة وقدرتها على تجسيد هرميتها، نفهم ما قاله ابن يعيش: "ولها في العطف شروط أحدها أن يكون بعدها من جنس ما قبلها...وأن يكون فيه تحقير وتعظيم"[2] وقوله فيه تحقير أو تعظيم هو مظهر من مظاهر السّلمية في اللّغة فما يوجد قبل "حتّى" يمكن اعتباره حجة أولى، أمّا الذي يأتي بعدها فحجة ثانية، لكنّ الفرق بينهما أنّ الحجة الثانية تكون أقوى أثرًا في التوجيه الحجاجي من الحجة الأولى لاشتمالها على حكم. ويمكن التمثيل لذلك بالسّلمية[3]

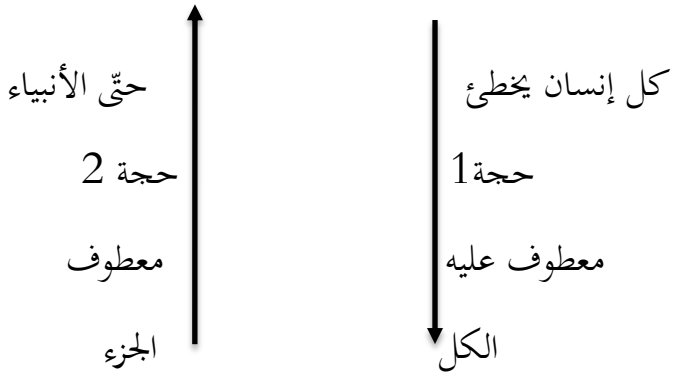

وتظهر عملية التقوية للحجة في حركة التوجيه الذي يقوم به الرابط "حتّى" في إخراج الملفوظ من العام إلى الخاص، ومن الكل إلى الجزء.

---

[1]- ينظر : حسن مسكين ، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج ، ص 191

[2]- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، المفصل في صنعة الأعراب، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ص: 380

[3]- ينظر : حسن مسكين ، المرجع نفسه ، ص 191

إنّ السلّمية في الخطاب التي يحققها التركيب المتضمن للرّابط "حتى" تكشفه إلى ذلك الوحدات المعجمية التي تسبق الرّابط، والتي تليه وإن كان واضحاً أن الذي يلي "حتّى" أقوى حجاجيا أو أكثر توجيها للمتلقي.

وعلى هذا النحو تقريبا درس كل من موشلار و روبول الرّابط Mêmeمن خلال قراءتهما لما توصّل إليه ديكرو. إذْ يعتبر أن الملفوظ ذا قوة حجاجية يوفرها الرّابط Même، ولكل منها درجة يوفرها السّلم الحجاجي ويمكن تمثيله كالآتي[1]:

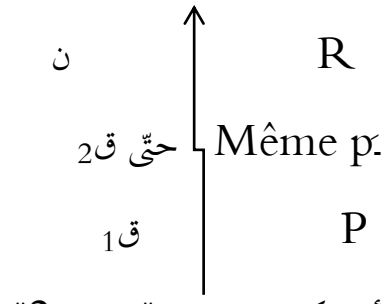

شرط أن يكون الملفوظ "حتى ق2" أقوى من "ق1" وذلك لعلاقة السّلمية الاستلزامية التي تجمعها، غير أنّه تجدر الإشارة إلى أنّ موشلار قد أكّد على وجود بعض الاختلافات بين الرّابط الحجاجي "Même" والرّابط الحجاجي "Sur tout"رغم تقاربها في المعنى، فالاختلاف يكمن في العمل الحجاجي، وكذا دورهما في إنشاء السلالم الحجاجية[2].

***– الرّابط الحجاجي "الواو".**

يستعمل الواو حجاجيا وذلك بترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض بل وتقوي كلّ حجة منها الأخر وتعمل على الرّبط النسقي أفقيا على عكس السّلم الحجاجي.[3]

ولنأخذ هذا المثال من الموعظة سابقة الذكر لابن الجوزي – رحمه الله– في حكاية ذنب داود يقول: **"يروى عن داود عليه السلام أنّه لجّ به البكاء ذات يوم فلّما كان في آخر اللّيل نادى يا رب أما ترحم كثرة بكائي؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال: إلهي وسيّدي لم أنس ذنبي ولكني أرجو منك غفرانه، إلهي وسيدي كنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريانه وتسكن هبوب الرّياح وتظلني الطير وتطوف الوحوش بمحرابي، وقد فقدت ذلك، فمن أجل هذا الذنب كل هذه الوحشة؟ فأوحى الله تعالى إليه**

---

[1]– العزاوي أبو بكر، اللغة و الحجاج ، ص 72.

[2]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 472.

[3]– المرجع نفسه ، ص 472

:يا داود، آدم خلقته بيدي، ونفخت فيه من روحي، واسجدت له ملائكتي، وألبسته ثوب كرامتي وتوّجته بتاج عنايتي وزوّجته حين استوحش بحواء أمتي، وأبحت له ولها جنّتي، فلمّا عصاني أخرجته من جواري، ونزعت عنه تاج وقاري، يا داود: من أطاعنا قربناه، ومن سألنا أعطيناه، ومن عصانا أمهلناه، وإن عاد إلينا على ما كان منه قبلناه".[1]

في هذه الموعظة تظهر الوظيفة الحجاجية للرّابط "الواو" في أكثر من موضع، فقوله: "إذا تلوت الزبور" "كفّ الماء عن جريانه"، "تسكن هبوب الرّياح"، "تضلني الطير"، "تطوف الوحوش بمحرابي" فربط الرّابط الحجاجي بين هذه الحجج ليقود إلى نتيجة واحدة وهي معجزات سيّدنا داود ونعم الله عليه دون الخلق كلّهم، وقد قام "الواو" ها هنا بالوصل بين الحجّة والحجّة واستعماله للشرط بالعامل الحجاجي "إذا" جعل من الحجج الواردة تأتي تراتبية أيضًا حسب تراتب المعجزات التي كانت بيدي سيدنا داود –عليه السلام– وهي حجج جاءت لتقوية النتيجة المطروحة وهي ذكر نعم الله على داود وغرضها استعطافه للحصول على المغفرة.

كما نجد أنّ الحجج التي تلت حجج داود –عليه السلام– كانت أكثر ترابطًا نظرًا للتسلسل المنطقي التي جاءت عليه في رده عزّ وجل على رجاء داود بالمغفرة ويظهر ذلك باستخدام الرابط الحجاجي "الواو" في قوله: "آدم خلقته بيدي"، "نفخت فيه من روحي"، استجدت له ملائكتي"، "ألبسته ثوب كرامتي"، "توجته بتاج عنايتي"، "زوجته حين استوحش بحواء أمتي"، "أبحت له ولها جنتي".

وردت هذه الحجج متسلسلة و متراتبة فجاءت منسقة غير منفصلة وكل حجّة تقوى بالحجة التي تليها وذلك بفضل الرّابط "الواو" الذي قام بالوصل بين هذه الحجج والوصول بها إلى نتيجة واحدة وهي مكانة آدم عند ربّه فهو الذي خلقه ونفخ فيه من روحه وأسكنه جنّته.

لكنه رغم هاته المكانة إلاّ أنّه عندما عصا أخرجه الله من جواره وجاءت حجّته في قوله "فلما عصاني" "أخرجته من جواري"، "نزعت عنه تاج وقاري "كلّها حجج تقود إلى نتيجة واحدة وهي عقاب المعصية والرّابط "الواو" أعطى لهذه الحجج اتصالًا وثيقًا.

---

[1]– ابن الجوزي ، المواعظ و المجالس ، ص ص 32.31

ويظهر أنّ الله سبحانه وتعالى بعد ترهيب داود بذكر منزلة آدم عند خالقه وعقابه بعد معصيته يرغبه فيما بعد بقوله: "من أطاعنا قرّبناه"، "سألنا أعطيناه"، "عصانا أمهلناه" "إن عاد إلينا على ما كان منه قبلناه".

فالرّابط "الواو" ها هنا اقترن بـ "منْ" وليس غرضها السّؤال وإنّما غرضها الشرط المقرون بالإجابة.

وقد يأتي "الواو" على معان عدّة منها: "الواو" ك "مع"، "حتّى"، "الواو" ك "ثم" وهذه الأخيرة تظهر جلية في المثال السّابق حيث دلت على تتالي الأحداث في قوله تعالى لداود: "آدم خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي".

***"الواو" ك "حتى"**

ترد الواو ك "حتّى" لوجود الكثرة والتعظيم وجاءت في موعظة "الاشتغال بحب الله" في قوله عندما قال: "**وقال الحسن: "إذا بكى العبد من خشية الله رحم من حوله ولو كانوا عشرين ألفًا".**[1]

فالواو هنا تحمل معنى "حتّى" أي حتّى لو كانوا عشرين أَلْفًا وجاءت رابطة واصلة بين الحجتين "رحم من حوله" "لو كانوا عشرين ألفا" والحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى نظراً لورودها بعد الرّابط الحجاجي "الواو" الذي جاء بمعنى "حتى" والتي تحدّثنا عنها وقلنا أنّ ما بعدها يأتي أقوى مما قبلها ويؤكد النتيجة وهي خشية الله طريق إلى الرّحمة.

***– الرابط الحجاجي "لكن"** وهي من روابط التعارض الحجاجي، وهي عند النحويين لنفي كلام واثبات غيره يقول الرّماني: "تقع لكن بين كلامين لما فيها من نفي واثبات لغيره فهي تتوسط بين كلامين متغايرين نفيًا وايجابًا يستدرك بها النّفي بالإيجاب، والايجاب بالنفي".[2]

---

[1]– لم يذكر ابن الجوزي من هو الحسن صاحب هذا القول وقد وردت هذه الموعظة أيضا في المدهش، ص 436.ينظر: ابن الجوزي، المرجع السابق، ص 29.

[2]– الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 115

تعد "لكن" من الرّوابط الحجاجية التداولية التي لقيت اهتمامًا كبيرا لاسيما عند ديكرو و انسكومبر الذين ميزا في دراستهما العديد للأداة Mais بين الاستعمال الحجاجي والاستعمال الابطالي، فاللغة الفرنسية تشتمل على أداة واحدة تستعمل للحجاج والإبطال، في المقابل نجد أنّ اللّغات الأخرى تتوفر على اداتين: أداة للحجاج وأداة أخرى للإبطال، ومن بين هذه اللغات الاسبانية(sino ,pero) والألمانية (sondem, aber) والعبرية(ilay, aval) والعربية (لكن و بل).[1]

ويجدر الإشارة إلى أنّ التلفظ بأقوال من نمط "أ" لكن "ب" يستلزم أمرين اثنين:[2]

*أنّ المتكلم يقدم "أ" و "ب" باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة "ن" والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها أي "لا- ن".

*أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمّته.

هذا يعني أنّ لكن الحجاجية تعمل تعارضًا حجاجيا بين ما يتقدّم الرّابط وما يتبعه، فالقسم الأول "أ" يتضمن حجة تخدم النتيجة "ن"، والقسم الثاني "ب" يخدم نتيجة مضادة "لا- ن"، وتكون الحجة الثانية أقوى من الأولى.

ويمكن ها هنا أن نورد ما قاله الإمام ابن الجوزي في موعظة "أسلم نصراني كرامة لبشر" :**"قيل لما مرض بشر الحافي رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه فاجتمع إليه إخوانه وقالوا له: غرضنا أن نَحْمِلَ ماءك إلى الطبيب، فقال: أنا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد قالوا: إنّ فلانا النصراني طبيب جيد ولابد أن يحمل إليه ماؤك ....فمضوا به إلى الطبيب فنظر إليه وقال لهم: ضعوه فوضعوه، ثم قال: حركوه فحركوه، حتى فعل ذلك ثانيًا وثالثًا فقال له أحد القوم: ما هكذا أُخْبِرنا عنك قال: وما الذي أخبرتم به عني قال: اخْبِرنا عنك بحسن النَّظر و سرعةِ الإدراك وجودة المعافات و نراك تردد النظر وذلك يدل على قلّة المعرفة، فقال لهم: والله لقد علمت حاله من نظرة، ولكنّي رددت النظر تعجبا وبُعْد فإن يكن هذا ماء نصراني فهو ماء راهب فتت الخوف كبده وإن يكن ماء مسلم فهو ماء بشر الحافي..."**[3].

---

[1]- أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، ص 57.

[2]- المرجع نفسه ، ص 58.

[3]- ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 283

فنجد أنّه في قوله: "والله لقد علمت حاله من نظرةٍ" وقوله "رددت النظر تعجبًا وبعد" الرّابط "لكن" تعمل تعارضا حجاجيا بين ما يتقدمها ويتلوها فالقسم الأول "لقد علمت حاله من نظرة" هذه حجة أولى تخدم سرعة الإدراك لدى الطبيب، وحسن نظره، وجودة معرفته، أما القسم الثاني وقوله "رددت النظر تعجبا وبعد" هذه الحجة الثانية تخدم نتيجة مضادة للأولى من قبيل أنّه صعب عليه معرفة الحقيقة لأنّه قدم احتمالين، إمّا أنْ يكون الماء لنصراني راهب، أو مسلم وهو بشر ابن الحافي فلما تجلت له قدرة الخالق في ماء بشر الحافي أسلم النصراني.

فهنا تكون الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى ومعارضة لها، فتكون النتيجة المضادة هي النتيجة التي يؤول إليها الكلام برمته فإن الطبيب عرف في الحجة أولى مرض بشر ابن الحافي من أول نظرة وأنّه ميت وفي الحجة الثانية عرف صاحب الماء دون أن يذكر اسمه أمامه وهو أكثر من علمه بالمرض، وأعلى مرتبة.

كما وردت "لكن" في الموعظة سابقة الذكر في حكاية ذنب داود عليه السّلام حين قال: "يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك، فقال إلهي وسيدي لم أنس ذنبي، ولكني أرجو منك غفرانك"

فنجد أن الرّابط "لكن" قد ربط بين مقولتين: الحجة الأولى في قوله "لم أنس ذنبي" وهي تقود إلى نتيجة وهي بكاء داود على ذنوبه والحجة الثانية في قوله" أرجو منك غفرانك" وهي تقود إلى نتيجة أخرى مضادة وهي البكاء من أجل المغفرة ونيل العفو.

فهنا تكون الحجة الأولى تذكر الذنب أقوى من الحجة الثانية: طلب المغفرة. لأن القول بمجمله يؤول نحو النتيجة الضمنية التي جاءت قبل الرّابط الحجاجي "لكن" ولأنّها رغبة الخالق أن يتذكر العبد ذنبه قبل طلب المغفرة وعليه يمكن التمثيل لذلك بواسطة الرسم البياني[1]:

ن لا– ن

لكن

[1]– ابو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 59

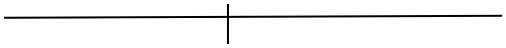

ح2 ح1

أرجو منك غفرانك لم أنس ذنبي

كما يمكن تمثيلها بالشكل التالي:

الظاهرة الحجاجية

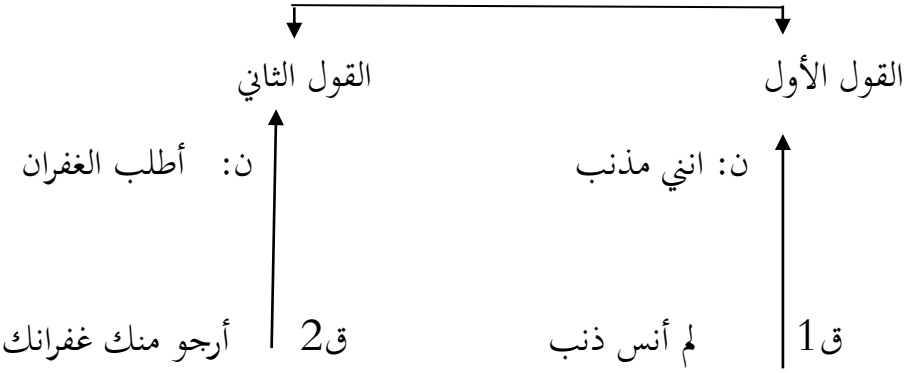

وقد وضع ديكرو(Ducrot) قاعدة لـ "لكن" مفادها: من القول (ق) نستخلص (ن)، ومن قول (ك) نستخلص (لا – ن)، ومن (ق) لكن (ك) نستخلص (ل– ن)، فالاستدراك بـ لكن يوجه دلالة القول كله إلى سلب نتيجة مضمون الجمل المشتركة وحصيلة تحليل المكون اللغوي هي دلالة القول اللغوي[1].

يقرّ كل من برلمان و تيتكا بأنّ الخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية هي أن تكون سلمية وتراتبية[2]. ويمكن الاستدلال على ذلك بقول ابن الجوزي: "والله قد علمت حالة من نظرة لكنني رددت النظر تعجبا وبعد". فتكون العلاقات الحجاجية سلمية وتراتبية من خلال التمثيل لها:

[1]– سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي و أساليبه ، ص327

[2]– ينظر: سامية الدريدي ، المرجع السابق ، ص327

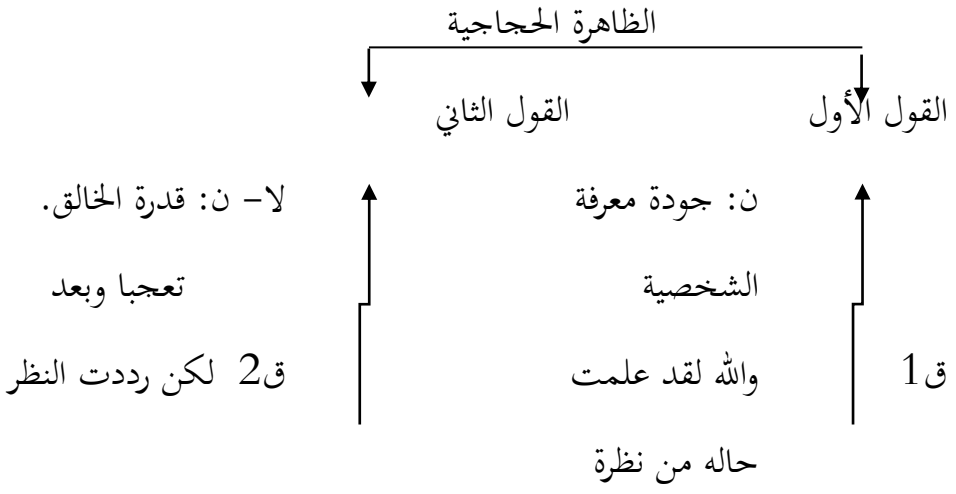

ويعود سبب وصف العلاقات الحجاجية بالسلمية والتراتبية يعود إلى ما يوفره العامل الحجاجي من تقوية للحجة حتى يجعلها غير متساوية قوة وضعفا، تأثيرا وإقناعا وبالتالي يكون العامل الحجاجي أو الرابط هو المحرك الرئيس للعلاقات الحجاجية داخل الملفوظ والقسم الحجاجي معًا، وبهذا ينزل الملفوظ في درجته الحقيقية من السّلم الحجاجي فيكون أقرب تحقيقا للنتيجة.

2- السّمات الدلالية

يعود السّلم الحجاجي في ترتيب حججه والمفاوضة بين قواها إلى رؤية المتكلم، فإنّ الحجة الواحدة قد ترتقي إلى أعلى السلم من وجهة نظر معينة كما قد تدنو إلى أدناه حسب وجهة نظر أخرى، وهذه من ميزات السّلم الحجاجي في إيجاد العلاقة بين مكوناته؛ و السمات الدلالية للمفردات أو الملفوظات هي التي تتحكم في خاصية القوة من عدمها في الحجج، فصوغ حجة ما يحتم اختيار ملفوظات مربوطة بروابط هذه الملفوظات تكتسب قوتها داخل الخطاب و هذا الأخير تكون قوته بحسب قدرة نسج ملفوظاته .

يقول ابن الجوزي في موعظته "المبادرة بالتوبة"..."**إخواني: أين عزائم الرّجال، أين صرائم* الأبطال، تدعى وتتوانى هذا كله محال، إن هممت فبادر، وإن عزمت فثابر واعلم أنه لا يدرك المفاخر، من رضى بالصف الآخر....**"

يقول الشّاعر:

يا ساكــن الدنيـا تأهب وانتظـر يـــوم الفـــراق.

وَأَعِـــدَّ زاداً للرحيـــل فسوف يحدى بالرفـاق.

وابْكِ الذنوب بأدمع تنهل من سحب المآق*.

يا من أضـاع زمانـــه أَرَضِيت ما ينفـى بِبــاقٍ.[1]

يظهر أن ابن الجوزي قد قدم في موعظته أكثر من مقدمة جاءت في قوله: "أين عزائم الرجّال" "أين صرائم الأبطال"، "تدعى وتتوانى"، "هذا كله محال" هي مقدمات للوصول إلى حجة طلب التوبة التي جاءت في قوله "إن هممت فبادر" فالحجة الأولى للوصول إلى التوبة هي المبادرة وقوله "إن عزمت فثابر" هي الحجة الثانية وهي المثابرة بعد العزيمة. ليدعم رأيه بالحكمة.

"إنّه لا يدرك المفاخر من رضي بالصف الآخر" وكلها سمات دلالية: دالة على قدرة ابن الجوزي في ترتيب حجة ووضعها في سلمية للوصول إلى حمل السّامع على الإذعان له بترك ملذات الدنيا وعمل على طلب التوبة وجهاد النفس لنيل مغفرة الخالق.

وقد جاءت هذه السمات الدّلالية التي أوردها ابن الجوزي متسلسلة في سلمية يمكن تمثيلها كالآتي:

ن: التوبة إلى الله.

- المثابرة في التوبة.
- العزيمة على التوبة.
- المبادرة في التوبة.

* صَرائِم: صيغة مبالغة، من الصريمة: وهي العزيمة الشديدة. ينظر: ابن الجوزي ، المواعظ و المجلس ، ص 27

* المآقي: وهي مجاري دموع العين. ينظر: المرجع نفسه ، 27

[1]- المرجع نفسه ، ص 27

– الهمة والنية في التوبة.

ليدعم ابن الجوزي حجة في طلب التّوبة بأبيات شعرية تحمل سلمية حجاجية ثانية بغية التأثير في المتلقي فهو يدرك جيدًا أنّ الشّعر بما يحويه من صور بيانية ومحسنات بديعية له الأثر البالغ ويفعل فعلته في قلب المتلقي ويحمله على الإذعان؛ فقد قدم مقدمته تمثلت في قوله "يا ساكن الدّنيا" وغرضها حمل المتلقي على الانتباه باستعماله العامل "يا" وعبارة "ساكن الدنيا" تدل على الإقامة المؤقتة فيها وهي بمثابة التهيئة النفسية لما يلحقها.

لتأتي حجة متسلسلة في ملفوظات تحمل سمات دلالية نتيجتها الاستعداد للموت بما يرضى الله من أعمال فقوله "تأهب"، "انتظر يوم الفراق"، "أعد زادًا"، "أبك الذنوبَ بأدمعٍ".

يمكن التمثيل لها بسلمية كالآتي.

ن: الاستعداد للموت.

– البكاء على الذنوب بشدّة.

– فراق الأحباب.

– عمل الزاد (الأعمال الصالحة).

– انتظار يوم المغادرة (الأجل).

– تأهب.

فهنا جاءت السّمات الدلالية الواردة متغيرة فبين ابن الجوزي أهمية الاستعداد للموت ثم تغيرت حججه إلى طلب التوبة قبل الرحيل: فاستعماله في الأبيات الشّعرية للسمات (التأهب، الانتظار، حمل الزاد، البكاء) أكسبت رأيه في الموت قوة حجاجية.

واستعماله للسمات الدلالية في طلب التوبة (الهمة، المبادرة، العزيمة، المثابرة) أكسبت رأيه في التوبة قوة حجاجية فإيراده للأبيات الشعرية سابقة لطلب التوبة كانت بمثابة المقدمات لعمل المتلقي على الإذعان بالموت كركن من أركان الإيمان ثم أنّه لا تكون له الرّاحة ما لم يسعى في التوبة ويتفانى في نيلها، لأنها الخطوة التي تسبق المغفرة ويظهر ذلك من خلال إيراده لأبيات شعرية.

فلا تحسبوا أنّ المعاليَ رخيصـــة ولا أنّ إدراك العـلا هَيِّـنٌ سهـــل.

فما كل من قد حاول العزّ ناله ولا كل من يهوى العلا نفسه تعلو.[1]

استعمل ابن الجوزي – رحمه الله – السّمات الدّلالية التالية: " لا تحسبوا"، المعالي، رخيصة "إدراك"، " العلا، هين، سهل". "قد حاول" "العز" "ناله" ولا كلّ "من يهوى" "العلا" "نفسه" "تعلو" وغرضه أن يبين أن الله سبحانه وتعالى حتّى وإن كان العبْد قد تفانى في طلب المغفرة وبادر بالتوبة وهذا لا يعني أنّه قد يحصل عليها، وهنا تظهر أنّ السمات الدلالية متغير لمكانة المرء عند ربّه، فهو في مكانة الاستعداد تارة وفي مكانة المذلة للخالق بإظهار الرغبة في التوبة تارة أخرى، وفي مكانة المقبولين ثالثةً وربما المرفوضين رابعة.

فهذه السمات الدلالية أكسبت كلام ابن الجوزي –رحمه الله– قوة حجاجية وجعلته في سلمية تراتبية غرضه حمل المتلقي على التسليم بضرورة طاعة الله وعدم التكاسل في طلب المغفرة والبكاء على ما فرط فيه و خشيته.

3- التكرار

لقد اهتمت الدراسات في مجال الحجاج بالتكرار و المعاودة أو التوكيد و عدته من أهم الآليات في السلالم الحجاجية فهو لا يُدْرَسُ ضمن الحجج و البراهين[2] ،وإنما يعد من أهم مصادر هذه الحجج بمعنى أن التكرار يوفر طاقة حجاجية إضافية للخطاب، "تحدث أثراً جليلا في المتلقي وتساعد على نحوٍ فعالٍ في إقناعه، ذلك أنّه يساعد أولاً على التبليغ والإفهام، ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان فإذا ردّد المحتج لفكرة حجة ما أدركت مراميها، وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي، وإن ردّد رابطا حجاجيا أقام تناغما بين أجزاء الخطاب، وأكّد الوحدة بين

---

[1]– ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 28

[2]– سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي و أساليبه ،ص 167

الأقسام أو أوهم المتلقي بها"[1]فيستعمل التكرار أو التوكيد بترتيب درجاته اللغوية، وذلك عند إنتاج الخطاب الخبري.

والحاجة من التكرار أو التوكيد تكمن في الاحتراز عن ذكر ما لا فائدة له، وان يقتصر المتكلم من التركيب على قدر الحاجة، فإن ألقى الخطاب إلى خالي الذهن من الحكم، ومن التردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم، ألقي إليه الكلام خاليا من التأكيد، وإنْ كان متردداً فيه حسن تقويته بمؤكد ويمكن الاستدلال على ذلك بما أورده ابن الجوزي– رحمه الله – في موعظة" عودة الإنسان إلى الحق" أين ذكر "حكاية إسلام عيسى الكرخي[2] وأمّه وأهله" قال: **"قال عيسى أخو معروف الكرخي: كنت أنا وأخي في المكتب حين كنا نصارى فكان المعلم يعلّمنا فيقول: بسم الأب والابن وروح القدس فيقول معروف: أحد أحد فيضربه المعلم ضربًا شديدًا، فلمّا طال ذلك عليه هام على وجهه فكانت أمّه تقول: لئن ردّ الله على ولدي لأتّبعنه على أي دين كان عليه فبعد سنين قدم علينا معروف فقالت أمّه: على إي دينٍ أنت يا ولدي؟ قال: دين الإسلام، فأسلمت أمّه ثمّ أسلمنا كلنا"[3]**

ففي هذه الحكاية استعمل ابن الجوزي رحمه الله التوكيد في أكثر من موضع منها قوله: "أحد أحد" وهو توكيد لفظي و تكرار لدعم امان معروف الكرخي و ثباته على رأيه و عقيدته، ويكون التوكيد في اسم نكرة والمراد به تثبيت الأول لا غيره، وورد التوكيد في قوله: " فأسلمت أمّه ثمّ أسلمنا كلنا" فقوله أسلمت كانت تكفي لأن الأم هي التي تحاور ولدها. ولفظت أسلمت دالة على أنّها المقصودة لكن التوكيد هنا أكّد المعنى بلفظة أخرى دالة على الشخص المؤكد، وهي القضية ذاتها في قوله: "ثم أسلمنا كلنا"، فلفظة "أسلمنا" قد تقود المتلقي إلى احتمال البعض أمّا إضافة لفظة "كلّنا" أكدت أنّه لم يبق أحد من أهل معروف الكرخي لم يسلم، كما نجد توكيد الخبر في قوله: "كُنْتُ أَنَا وأَخِي" هنا وقع توكيد الضمير المتصل بضمير منفصل هذا الأخير يعبر عن الذّاتية التي تبرز الأحداث.

---

[1]– المرجع نفسه ،ص 168

[2]– هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، كان من موالي الإمام على الرضى بن موسى الكاظم ولد في كرخ ببغداد ونشأ وتوفي بها، اشتهر بالصلاح وقصده النّاس للتبرك به. ينظر: ابن الجوزي، المجالس والمواعظ، ص25.

[3]–ابن الجوزي ، المرجع السابق ،ص 26

ويعتبر التّكرار من منظور اللّسانيات النّصية أحد الوسائل التي تحقق الترابط اللفظي والتّماسك النّصي وهذا ينعكس على حجاجية الخطاب. فكلما استعمل المخاطب أساليب التكرار والتوكيد في محلّها كلما كانت حججه قوية، ويمكن الاستدلال على ذلك بابن الجوزي رحمه الله. في موعظة "هاتف العبر ينادي" أين قال: "**تالله ما أعجب بِمَا لَهَا من نظر في مَالِهَا، ولا بنى قصورها من عرف عزورها. أما أنذركم إعلام ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [هود الآية:102]. وما قصم على عزائمكم ﴿وكَم قَصَمْنَا﴾[الأنبياء، الآية:71]. أما سمعته هاتف العبر ينادي ﴿فكلاً أخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾[العنكبوت، الآية40]. إنّ النظر في هذه الأمور قَلْقَلَ قلوب العارفين فكانوا يبكون لا يَفْتَرُونَ البُكاءَ البُكَاءَ يَا مَنْ سُلِبَ قَلْبُهُ،الحُزْنَ الحُزْنَ يا من عظم ذنبه.**"[1]

و هنا أراد ابن الجوزي أن يبرهن معلى أنّ عقاب الله شديد فأورد آيات من القرآن في متن موعظته واستعمل التكرار. في قوله: " البكاء البكاء" لمن سلب قلبه بحب الدنيا وانشغل بها عن محبة الخالق، و"الحزن الحزن" لمن عظم ذنبه ولمن غرّته الدنيا ولم يلزم حدود خالقه فالتوكيد اللفظي أو تكرار الأسماء من السّمات الحجاجية التي تخدم النتيجة الواحدة وهي الحذر من غرور الدّنيا، أو خشية الله.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ ابن الجوزي قد استعمل التكرار والتوكيد اللفظي والتوكيد بالحروف من قبيل: إنّ، أنّ، قد، أمّا الشّرطية، لام التوكيد واللام المزحلقة في مواعظه قصد إعطاء القوة الحجاجية للحجج التي يقدمها والتي تهدف إلى التأثير في المخاطب وإقناعه وهذا ما يعبّر عن براعة التفنن وطرائق العرض والبيان وهو ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور حين قال: "....ما أسميه بالتفنن، وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن، بطرائق الاعتراض و التنظير، والتذليل و الإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنبا لثقل تكرير الكلم".[2]

فأسلوب التكرار في مواعظ ابن الجوزي – رحمه الله – جاء ليوظف طاقة حجاجية جديدة، بتقرير المعاني في النفس، ويثبتها في الصدور، ويرسخ مقاصد المواعظ من الإصلاح والإرشاد والترغيب إلى الله والترهيب من غضبه وهذا ما نلمسه في موعظة استغاثة في إسلام عيسى الكرخي وأمّه وأهله حين قال: "**حكى عن بعض العارفين أنّه ناجى ربّه عز وجل فجعل يقول: يا رب أنتَ شئتَ**

---

[1]– ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 253

[2]– ينظر: الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، المرجع السابق، ص116.

أنت قضيتَ، أَنْتَ حَكَمْتَ، أَنْتَ أردتَ، لا أعلم ربًّا سواكَ، ولا مقدرًا إلاّ إياكَ، فنودي: هذا أَدَبُ التوحيد فأين أدب العَبِيدُ؟ فقال: يا رب أنا عصيتُ، وأنَا جَنَيْتُ، وأنَا خَالَفْتُ، وأنا أخطأتُ، فسمع هاتفًا يقول: وأنَا سترتُ، وأنَا صفحتُ، وأنَا غَفَرْتُ، وأنَا عَفَوْتُ".[1]

فالحجج الواردة جاءت في سلمية تراتبية مترابطة باستعمال التكرار للضمير أنتَ الذي وظِّفَ للتأكيد على ألوهية الخالق وقدرته، وتكرار الضمير أنَا وظِّفَ للتّذ لل من خلال طبيعة الأفعال التي جاءت بعده وغرضها طلب المغفرة.

يمكن التمثيل لهذه السلمية :

ن : الاعتراف سبيل المغفرة

أنا عصيت

أنا جنيت

أنا خالفت

أنا أخطأت

نجد أن عيسى الكرخي قد بدا بأعلى مراتب العصيان نزولا إلى أقلها و هذا من باب تعظيم الذنب ومن آداب الاعتراف وتكرار الضمير هنا كما أسلفنا الذكر للتذلل.

أما تكرار الضمير أنا في قول الخالق فهو من باب العلو و القدرة . و عليه فقد أعطى التكرار القوة الحجاجية للموعظة من خلال ضمان وقعها و تأثيرها في الأنفس.

III- العلاقات الحجاجية

عند الحديث في الخطاب الحجاجي فنحن أمام مجموعة من العناصر التي تعقد نجاح العملية الحجاجية بين جميع أطرافها، والمتمثلة في المخاطب، والمتلقي، والقضية المطروحة، ومقام الخطاب،

[1]- ابن الجوزي، المجالس والمواعظ، ص 26.

فكل هذه العناصر وغيرها تَرْتَبطُ وتنتظم عَبْرَ ما يسمى بالعلاقة الحجاجية، ويرى العزاوي أن العلاقة الحجاجية هي كل ما يرد على شكل علاقة شرطية أو سببية، أو تفسيرية، أو تبريرية، أو استنتاجيه.[1]

1- العلاقات الحجاجية خارج الخطاب الوعظي

العلاقات الحجاجية خارج الخطاب هي تلك العلاقة التي تربط بين عناصر العملية التخاطبية، بدءًا من طرفي الخطاب: المخاطب والمتلقي.، وما بينهما من علاقة، بالإضافة إلى المكان والزّمان والعوامل المحيطة بهما: من اجتماعية، أو ثقافية، أو سياسية.....وغيرها، وصولاً إلى مقام الخطاب فهذه العناصر يسميها فيليب بروتون بالمثلث الحجاجي والتّي من خلالها نميز الحجاج، ويحصرها في رأي الخطيب، والخطيب نفسه، والحجة التي يدافع عنها[2]، فتكون بذلك الجو الخارجي الذي من خلاله ينتج الخطاب في ظروف وملابسات معينة.

أ- الخطاب الحجاجي والمخاطب

إن الخطاب الحجاجي من فعل المخاطِب وانجازه، يبني من خلاله أفكاره وقضاياه، وفق طريقة تبين موقفه، وتحقق غاياته، وتم ذلك وفق عملية متكاملة لفعل الحجاج، وتجدر الإشارة إلى أنّ المخاطِب ليس على درجة واحدة في ذلك[3]، لأنه قد يختلف مع غيره في المعارف، والعلاقات الاجتماعية، وحول الكيفية التي تكون بها المعرفة مشتركة أو غير مشتركة، متوافقة أو متعارضة وحول الاعتقادات والمستويات ليتعلق كل ذلك بتنظيم الخطاب الحجاجي وتشكيله فلا بد أن يسوده التناغم ويحكمه الانسجام، فلا تخالف نتائجه مقدماته ولا تناقض أوائله أواخرهُ، هذا هو الطابع العام الذي يمنح الخطاب الحجاجي مصداقيته وقبوله.[4]

ويمكن أن نورد موعظة لابن الجوزي مأخوذة من أحد المجالس يظهر فيها أن الإمام –رحمه الله– يدرك أهمية الأوضاع الاجتماعية وضرورة توفر العلاقة بينه وبين المتَعظ، فيقول في موعظة "العمر ينهب": **"يا هَذَا أما عُمْرُكَ في كل يوم ينتهب؟ أما المعظم مِنهُ قد ذَهَبَ؟ في أي شيء، في جمع الذَّهَبِ؟ تبخل بالمال وبالعمر تهب، يا من إذا خلى تفكّر وحسب، أما نزول الموت فما**

---

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، ص77

[2]- ينظر: بروطون فيليب، الحجاج في التواصل، تر: محمد ميشال، عبد الواحد التهامي العلمى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص35.

[3]- المرجع نفسه، ص 36.

[4]- ينظر: ابو بكر العزاوي، المرجع السابق ، ص78

حسب لك توبة لا تشبه التوب، وبين يديك كربة لا كالكرب، تطلب النجاة لكن لا من باب الطلب، تقف في الصّلاة إنَّ صلاتك عجب الجسم حاضر والقلب في شغب، أنا أعْلَمُ بك منك حب الهَوَى قد غلب ومتى استولى الهوى على قلب لم يفلح وكَتَبَ"[1].فهذه الموعظة تظهر أن الإمام ابن الجوزي على علم بأنّ من حضر مجلسه يرغب في سماعه وهذا يرجع العلاقة بين المخاطِبْ والمتلقي، ويدرك من جهة أخرى أنّه يلقى قبولاً لدى الحضور وكيف لا ومجلسه دائما يفوق الألف من المستمعين، أما موضوع الموعظة فهو يتحدّث في أشياء من الواقع فالإنسان محب لهواه، تارِكٌ لعقله، راغب في دنياه، صادٌ على آخرته. استطاع الإمام أن ينظم خطابه ويسلسل أفكاره ويرتّب حججه على إدراكه الجانب النفسي للموعوظين وما يحبون.

وعليه فإن تحقيق المصداقية والقبول للخطاب الحجاجي يقتضي المعرفة بمقومات التناغم التي من الضروري توافرها في كل خطاب حجاجي وقد حددها الدارسون في ثلاثة:

القبول: على المتكلم أن يبني خطابه الذي يحقق انخراط المتلقي في الكلام الذي رسمه؛ أي لابد من يضمن عملية التلقي ذاتها، ولا يتم ذلك إلاّ إذا وجد المتلقي في الكلام شكلاً مقبولاً ومعقولاً يفهمه ويقبله ويؤثر في عواطفه.[2]

مشابهة الحقيقة: فالعالم الذي يشكله المتكلم في الخطاب ينبغي أن يكون متصّورًا وأن تكون أشياؤه قابلة للتحديد، وعلاقاته محتملة تطابق ما يحمله المتلقي من تصورات حول الواقع على مستوى الممكن والمستحيل.

الإقرار: فالغاية التي يرسمها الخطاب، والقيم التي يعتمدها يمكن للمتلقي تحديدها ثم إقرارها والاقتداء بها.[3]

وكل هذه المقومات تتعلق بالغاية التي يتأسس عليها الخطاب الحجاجي، وهي الحرص على تقديم الفكرة المطروحة وتوضيحها من أجل حمل المتلقي على الإذعان وبالتالي: الاقتناع بالرسالة المقدمة؛ وهو ما لمسناه في مواعظ الامام ابن الجوزي –رحمه الله– فهو يهدف إلى إصلاح المؤمنين

---

[1]– ينظر ابن الجوزي، المواعظ و المجالس، ص 302.

[2]– سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص36.

[3]– سامية الدريدي، المرجع السابق، ص 37

وحمهم على الإقرار بأخطائهم وتقصيرهم في عبادة الخالق وطلب التوبة بل والاجتهاد في إرشاد عامة الناس.

إن هذه المقومات المذكورة آنفًا من الضروري أن تقترن بمجموعة من التقنيات الواجب توافرها في الواعظ أو الخطيب وهي التي تمكنه من التعامل مع المتلقين حسب درجة الإذعان من جهة، وحسن اختيار العناصر– سواء كانت لغوية أو غير لغوية– المكونة للخطاب الحجاجي من جهة أخرى، وبالتالي تحقيق التوافق بين طرفي العملية الحجاجية.

ولما كان الهدف من كل عملية حجاجية إفهامي وإقناعي انبنى الحجاج على قصد توجيه كلام يبتغي من خلاله المخاطب إقناع المتلقي بأمر معين، وهو ما يوجب أن يتوجّه المخاطب إلى المتلقي بكلامه؛ أي الإيصال بطريقة محددة وأن يفهم المتلقي مقصود الخطاب، ومن هنا يصبح القصد من أهم العوامل لنجاح كل عملية حجاجية، وتفعيل السّياقات المتعددة التي تحرك الحوار وتضبط آلياته التأويلية.

ب– الخطاب الحجاجي والمتلقي

"إن نجاعة العملية الحجاجية مرتبطة بالدرجة الأولى بالمتلقي أو السّامع أو الجمهور، باعتباره المستهدف من كل ذلك، أمّا عن طبيعته فإنه من الضروري الإشارة إلى أنّه يمثّل النّسق العام الذي تنظمه الطروحات النفسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع، لذا فالمتلقي هو "الحامل للخصائص الجماعية الكبرى التي السّواد الأعظم، أنّه بعبارة أخرى: الثقافة والحضارة والمجتمع في اللاوعي الموجه للوعي وللفهم وللتعامل داخل الزّمرة الاجتماعية الخاصة، وبالتالي يكون الخطأ في رسم صورته الفعلية مؤديا حتما إلى نتائج عكسية تماماً"[1] هذه البنية الموجهة للمتلقي هي التي تكون الرؤية العامة والتي ينبني على أساسها الخطاب الحجاجي.

وقد اهتم بيرلمان بهذه القضية حين ميّز بين المتلقي الخاص والمتلقي الكوني فإذا كان الباحث في الخطاب الخاص يضبط بناءه الحجاجي بحسب مستوى المتلقي المضبوط والمحدد، فإنه في الخطاب الكوني يدقق ويحدد أكثر لأنه يتعامل مع متلقي أوسع، لذلك يأخذ بعين الاعتبار كل الاعتراضات التي قد يطرحها.[2]

---

[1]– محمد سالم ولد محمد الأمين، "مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة"، مجلة عالم الفكر، عدد3، 2000، ص 69.

[2]– ينظر: عبد الله صولا، الحجاج في القرآن الكريم أهم خصائصه الأسلوبية، ص41.

ج- الخطاب الحجاجي والمقام

يعد المقام المنطلق الذي تعود إليه كل العناصر الحجاجية التي يبنيها المحاجج والتي تستدعي الملائمة مع الموضوع من جهة، ومع المتلقي من جهة أخرى، وقد حدد بيرلمان تصورين للمقام فهو تارة يعتبر الإطار المحدد للخطاب المستوعب لكل محتوياته العملية الإبداعية، ولكل المشاركين فيها، وتارة أخرى يعتبره تلك المقدمات ذات النظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج وترتيب القيم"[1] وهو التفريق بين القيم ومختلف أشكالها كالعدل، الجمال، والحق... وغيرها وكيفية عرضها في العملية الحجاجية.

وبهذا لعرض لأهمية عناصر الخطاب الحجاجي من المخاطب والمتلقي ومقام الخطاب، يمكننا الانتقال إلى العلاقات بين قضايا الخطاب، وهي علاقات عديدة تنبني وعليها السّلالم الحجاجية في الخطاب الوعظي، ومتنوعة أيضا بتنوع الروابط المعبّرة عنها، فيقر موشلار و ريبول بأذن الخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية هي أن تكون سلمية، وتراتبية"[2]

وسبب وصفها بهذه الصفة إنّما يعود إلى ما يوفره العامل الحجاجي من تقوية للحجة حتّى يجعلها غير متساوية قوة وضعفا، تأثيرًا وإقناعا مع حجة أخرى.

2- العلاقات الحجاجية داخل الخطاب الوعظي

إنّ مفهوم العلاقة الحجاجية داخل الخطاب هو مفهوم واسع بحيث يشمل مجموعة من العلاقات القائمة بين الحجة والنتيجة، ثمّ إنّ العلاقة الحجاجية يمكن أن تربط بين حجة واحدة ونتيجة أو بين نتيجة واحدة ومجموعة من الحجج، ويمكن أن تربط بين عناصر صريحة وأخرى ضمنية.

أ- علاقة التتالي و التتابع

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، صر ص 41، 42

[2]- محمد سالم ولد محمد الأمين، المرجع نفسه، ص 71.

تكون علاقة التتابع إجمالا في مستويين؛ مستوى الأحداث حين تندمج الحجة في الواقع، وتنتهي بداهة إلى أحد الصنفين وهما: الحجة المؤسسة على بنية الواقع، والحجة شبه المنطقية، ومستوى أعمق من الأوّل يتصل بالحجج فيما بينها، حيث تقتضي حجة أخرى لتؤكد الثانية الأولى.[1]

وهذه العلاقة نجدها عند الإمام ابن الجوزي رحمه الله في أغلب مواعظه فهو يهدف إلى النصح و الإرشاد و الإصلاح، فيبدأ في الغالب بلفت انتباه الحاضرين في مجالسه، ومن ثمة يطرح المقدمات ويسرد حججه من القرآن ثمّ السنة ومن الشعر وقد يدعمها في الغالب بقصص الصالحين والتائبين وفي هذه المدونة محل الدراسة يهدف ابن الجوزي إلى الوصول إلى حقيقة الموت وضرورة الاستعداد للآخرة وكان في كل مرّة يسترسلهم ليصل مبتغاه عن طريق آلية الاستدراج التي يلجأ إليها المحاجج وأهمها: الحد الأسمى المضمن، وصف السامع ونعته، ضمائر الخطاب، وهذه الوسائل مجتمعة يعتمد عليها المحاجج حتى يستدرج سامعه و يستجلبه عقلاً وعاطفة إلى دائرة الخطابة وحمله على الإقناع يمكن إيراد ما قاله ابن الجوزي رحمه الله في موعظة "يا عبيد فلسه": "**اسْمَعْ يا عَبِيدَ فِلْسِهِ، يا عدُوَّ نفسِهِ، تُعَانِقُ الدُّنيَا بِعَيْنِ الحِرْصِ، عنَاقَ اللاَّمِ للأَلِفِ، متَى تَزِلُ الدّرْهَمَ من القَلْبِ، أين منْزِلةُ الثَّرى من التَّرَفِ...**"[2]

هنا جسد ابن الجوزي علاقة التتابع بداية بنعت المتلقي، ثم سرد الحجج بتوظيف الاستعارة المكنية والتشبيه، فقد استطاع الإمام استدراج المتلقين للانتباه إليه.

ليسترسل بعدها في الوعظ بذكر ما يرهب وما يرغب بقوله: "...**ويحك أتبحث عن حتفك بظلفك؟ وتجدع بسيفك مارن أنفك؟ مَا أَكْرَمَ نَفْسَهُ قَطُ من أَهَانَهَا... فاتك السّبق فاجتهدْ أن لا تكون لاحقًا، من طلب المعالي سهر اللّيالي، لَوْلَا صبرُ المضمر على قلّة العلف ما قيل سباق ما قدر سجاف ﴿نِعْمَ العَبْد﴾ [سورة ص، الآية44]. على فتنة ﴿وَوَهَبْنَا له﴾[ص، الآية 43.]حتى جرى في أمانة ﴿إنّا وَجَدْنَاهُ صَابِرا﴾[سورة ص، الآية44]. من لم تبكِ الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له**"[3].

---

[1]- حافظ إسماعيل العلوي ، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص 226.

[2]- ابن الجوزي ، المرجع السابق ، 303

[3]- ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 304

فهنا ابن الجوزي رحمه الله استجلب المتلقي عقلا بذكر الآيات القرآنية وعاطفة بذكر بعض الحكم من مثل: " من طلب المعالي سهر الليالي" وقوله: "من لم تبكي الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له". إلاّ أنّ آلية الاستدراج اعتمدت طرائق متعددة في كل حوار حجاجي، ومنها الاستدراج بالسؤال في قوله وَ يُحْكَ أتبحث عن حَتْفِكَ بِظَلْفِكَ؟ ثم استرسل بقوله: "فاتك السّبق فاجتهد" و "أن لا تكون لاحقًا" وهو ما أدّى إلى تسلسل حجاجي، جاء بعده بذكر أمثلة على الصّبر جاءت من خلال صبر الخيل المضمرة التي يتم إعدادها للسّباق وذكرت الآيات في مدح صبر النبي، وفي الأخير تم تقديم الشاهد الحجاجي المتمثل في نتيجة جازمة أنّ الذي لم تبك الدّنيا عليه لأنّه تركها، فالآخرة لم تضحك له، لأنّه لم يستعد لها، وذلك بقوله "من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له".

ب- علاقة السّبب بالمسبب

تعدّ علاقة السّبب بالمسبب من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المتلقي، حيث لا يكتفي المخَاطَب فيها بربط الأفكار، والوصل بين أجزاء الكلام؛ بل يعمد إلى مستوى أعمق، فيجعل بعض الأحداث أسبابًا لأحداث أخرى ويَسِمُ فعلًا ما بنتيجة متوقعة لفعل سابقن ويجعل موقفًا معينًا سببًا مباشرًا لموقف لاحق، وهذا ما وجدناه في موعظة "النوم" للإمام ابن الجوزي –رحمه الله– الواردة في الفصل الثامن والعشرين من المدونة محل الدّراسة أين قال: **"يروى أنّ آدم عليه السّلام قال في مناجاته: إلهي لما عاتبتني وقد علمت أنّي إنّما أكلت من الشّجرة طمعًا في الخلود للبقاء معك، فأوحى الله تعالى إليه: لأنّك رأيت الخلود في الشجرة فأشركت في سرّك ولم تشعر؛ ومع ذلك فقد أقلت عثرتك* ورحمت عبرته*، وقبلت توبتك. وهذا هو الكرم أن يتوب على من أذنب ويعتذر عمن أخطأ....قيل إنّ العبد إذا التجأ إلى ربّه بقلبه دون أن يستعبد بتدبيره وليه أو يستعين بأقرانه وصحبه تعجلت له الكفاية في عاجله وتحققت له الولاية من الله في أجله، فَسُبْحَنَ من وَفَقَ للتَوْبَةِ أَقْوَامًا وثبّت لهم صراطها أقداماً، فكفوا الأكف عن المحارم احترامًا، فكفّر عنهم ذنوبًا عظاما ونشر لهم بالثّناء على ما عملوا أعلامَا، فهم في رياض المدائح بترك القبائح يتقلبون.**[1]

---

*العثرة: الزلة والهفوة والمحنة ينظر: ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 263

* العبرة: هي الدمع قبل أن تفيض ينظر: المرجع نفسه، ص263

[1]- ابن الجوزي، المرجع نفسه ، ص ص: 263- 266.

في هذه الموعظة استطاع الامام ابن الجوزي –رحمه الله– أن يجسد علاقة السبب بالمسبب وذلك من خلال تبيان الأحداث وأسبابها وانتقل من مستوى إلى مستوى أعمق وذلك بإدراجه للحجج ونتائجها ويظهر ذلك في:

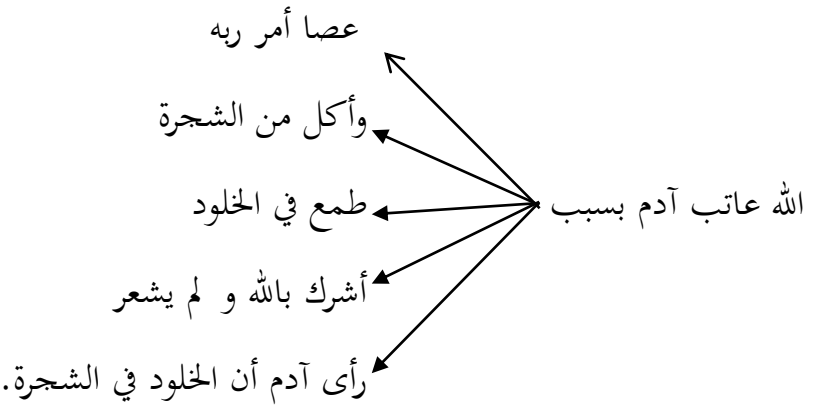

فسلمية علاقة السّبب بالمسبب فادت جملة من الأسباب إلى نتيجة واحدة وهي غضب الله على آدم ومعاقبته، ورغم أخطاء آدم إلاّ أنّ خالقه قبل توبته.

ويظهر ذلك في الأسباب التي قدّمها الخالق لآدم وجاءت كالآتي:

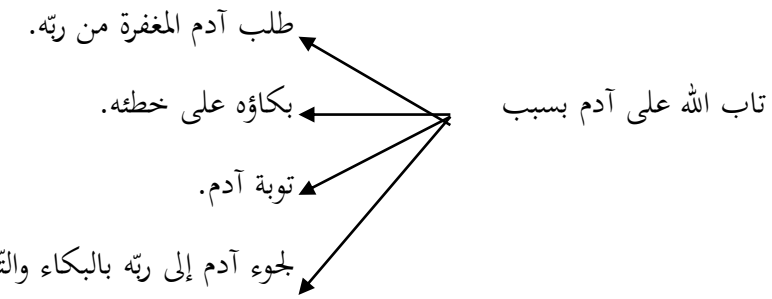

فنجد إذا أنّ: طمع آدم في الخلود سبب في أكله من الشجرة، وأكله من الشّجرة سبب في زلّته، وزلّته سبب في غضب الله عليه وغضب الله على آدم سبب في معاتبته ومعاتبة الله لآدم سبب

في بكائه وبكاؤه سبب في طلب التوبة ولب التوبة سبب في قبول التوبة من الله وقبول التوبة من قبل الخالق هو كرم منه –عزّ وجل– وعليه فإننا نجد أنّ والنتيجة الأولى: هي عتاب الله لآدم أصبحت سببا لنتيجة ثانية وهي توبة آدم، والنتيجة الثانية أصبحت بدورها سببًا في للنتيجة الثالثة وهي كرم الله على عباده بقبول التوبة والاعتذار.وعليه يمكننا القول أنّ علاقة السّبب بالمسبب من أهم العلاقات الحجاجية التي تعطي قوة حجاجية للحجج من جهة وتبين أهمية الرّوابط وفعاليتها من جهة أخرى، وتضمن السّلمية والتراتبية من جهة ثالثة

ج- علاقة الاقتضاء

يعد الاقتضاء أحد الموضوعات الهامة التي اهتمت بها الدراسة التداولية كونه يقوم على المقصد الذي يبتغيه المخاطب من كلامه، فهو بذلك يتكون من عنصرين أساسيين هما:

المقتضي (وهو الكلام المنطوق به في الخطاب، والمقتضى (وهو الكلام المقدر) وبها يتحقق فعل الاقتضاء، فعلاقة الاقتضاء تندرج ضمن هذا التفاعل بين عناصر الخطاب، حيث تجعل الحجة تقتضي النتيجة، فتغدو العلاقة ضربًا من التلازم، وهو ما لا توفره سائر العلاقات الأخرى، وأقدر الرّوابط على توفير هذا النوع من العلاقة أدوات الشّرط المختلفة، فتكون بذلك علاقة الاقتضاء ذات طاقة حجاجية عالية، فالجملة الشرطية من حيث وظيفتها الحجاجية تبين لنا قدرتها على توفير علاقة الاقتضاء بين السّبب أو الحجة والنتيجة، وهو سبب يمثله الشرط ونتيجة يمثّلها الجواب.[1]

ويبيّن النحاة القدامى أنّ جملة الشّرط سبب في جملة الجواب، فقال ابن جنى: "وذلك أنّ حقيقة الشّرط وجوابه أن يكون الثّاني مسببا عن الأول، نحو قوله: إنْ زرتني أكرمتك، فالكرامة مسبّبة عن الزيارة".[2] فالجملة الشرطية إذا تبين علاقة الاقتضاء بين الشرط وجوابه وبالمقابل بين الحجة والنتيجة ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال موعظة ابن الجوزي بعنوان: "التائبون" فيقول: **"التَائِبُونَ العَابِدُونَ الحامِدُونَ كَشَفَ لهم عنِ الدّنيَا فرأوا عيوبها وألاح لهم الأخرى فتلمّحوا غيوبها، وبادروا شمس الحياة يخافون غروبها، واشتغلوا بالطاعة مرغوبها، وحثهم الإيمان على الخوف فما يأمنون .،التّائبون العابدون الحامدون ندموا على الذّنوب فندبوا، وسافروا إلى المطلوب فاقتربوا وسقوا غرس الحزن دمع الأسف وشربوا فإذا أقلقهم الحذر طاشوا وهربوا**

---

[1]– سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ص 335

[2]– سامية الدريدي ، المرجع السابق، ص 335

وإذا هبّ عليهم نسيم الرجاء عاشوا وطربوا، فاغتنم أرباحهم أنّ نيل النّصيب بالنصيب يكون.... التائبون العابدون الحامدون اللّهم سرْ بنا في سرب هذه العصابة ووفقنا للتوبة والإنابة يا من يقول للشيء كن فيكون"[1].

عمد الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– إلى اعتماد التكرار في فئة معنية بهذه الموعظة حيث يظهرها هنا التخصيص للتائبين العابدين الحامدين. وتكرار هذه الأسماء أو الصّفات غرضها التخصيص.

وقد أورد علاقة الاقتضاء المتمثلة في قوله: " فإذا أقلقهم الحذر طاشوا وهربوا"

وإذا هبَّ عليهم نسيم الرَّجَاءِ عَاشُوا وطَرِبُوا" فيظهر أن الحجج جاءت كما يلي:

ح1 ⟵أقلقهم الحذر ⟵ جملة الشرط.

ح2 ⟵هبّ عليهم نسيم الرجاء ⟵جملة الشّرط.

والنتائج جاءت كما يلي:

ن1 ⟵ طاشوا هربًا ⟵ جواب الشّرط.

ن2 ⟵ عاشوا وطربوا ⟵ جواب الشّرط.

فالحجة الأولى اقتضت النتيجة الأولى، والحجة الثانية اقتضت النتيجة الثانية وتعد النتيجة ها هنا إلزامية ومضمونة التحقيق فقوله: "إذا هبّ عليهم نسيم الرّجاء". يقصد به اطمئنانهم لمرضاة الخالق عليهم ونتيجته تكون عيشة راضية وفرحوا شديد، فاستعماله للفظة "طربوا" تدل على الفرحة والغبطة والفرحة المقرونة بالراحة النفسية.

وقد ورد العديد من الأمثلة عن علاقة الاقتضاء وذلك لأهميته في مثل هذه النصوص فالخطاب الوعظي عند ابن الجوزي –رحمه الله– يعمد إلى التأثير في المتلقي وحمله على الإذعان وعلاقة الاقتضاء من أهم العلاقات التي عمد إليها الإمام مرفوقة بعلاقة السبب والمسبب، ناهيك عن الرّوابط الحجاجية والعوامل التي من الحجج مؤسسة وقوتها مرهونة بقوة العلاقات الحجاجية وبقوة الروابط و العوامل.

---

[1]– ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 266

فنجد ذلك في جزء من موعظة: "سارعوا إلى المغفرة" قوله: " **إخواني: قد دعاكم إلى النجاة مولاكم، وفتح باب الإجابة وناداكم، ودلكم على منافعكم وهداكم، وحثّكم على البر رفقا بكم بقوله: ﴿وَسَارِعُوا إلى مَغْفَرَة مِن رَبِّكُمْ﴾[آل عمران، الآية13]. لله درّ أقوام بادروا الأوقات واستدركوا الهفوات شغلوا العيون بالدّموع عن النّظر إلى المحرّمات، وسجنوا الألسن في سجن الصمت عن موارد الهفوات وكف الأكفّ عن تناول الشهوات وقيّدوا الأقدام إلاّ على السعي إلى الطّاعات، إنْ غَشِيَهم اللّيل ضجّوا بالأصوات في الخلوات، وإنْ أقبل النّهار قطعوه بمقاطعة اللّذات أفيطمع في لحاقهم من عرى عن وهذه الصّفات أو يرجوا الخلاص مع الأخلاص﴿أَمْ حَسِبَ الذّين اجْتَرَحُوا السّيئَات أَنْ نَجْعَلَهُم كَالذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾[الجاثية، الآية21.]**

شعـر

عَجَبًا لِأَمْنِكَ والحَيَاةُ قَصِيرة وبِفَقْدِ إلْفِكَ لا تزَالُ تَرُوعُ.

أَفَقَدْ رَضِيت بأَن تُعَلِلَ بالمُنى وإلى المَنِيَّة كل يومٍ تُدْفَعُ.

أحْـلاَمُ نَوْمٍ أو كظِلٍ زَائِـلٍ إنّ الكريمَ بِمِثْلِهَا لا يُخْدَعُ.

ويقول: فسبحان الحليم العظيم الذي لا يستفزه عصيان العاصين إنه يَقْدِرُ ويَسْتُر حتّى يتوهم المغرور أنّه ليس يُتَبَصّر، وقد يؤخّر العبد لِعِلمه سبحانه بنقله حاله وأنه سيكون من أوليائه ورجاله"[1]

ومن خلال هذه الموعظة نجد أنّ الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– قد استعمل الرّابط "الواو" وغرضه الرّبط والغاية في قوله: "فتح باب الإجابة" و"ناداكم" والغاية منها الوصول إلى حث طالبي المغفرة إلى طلبها؛ وقوله: "دلكم على منافعكم" و"هداكم" وغرضها الربط بين الحجج للوصول إلى نتيجة وهي رحمة الله بعباده ورغبته في هدايتهم وإصلاح إيمانهم ليدعم حججه بآية قرآنية بغية إحياء الحماسة لدى المؤمنين بالمسارعة والتسابق على طلب المغفرة، ثم عمل معلى ترغيبهم بذكر فئة من عباد الله الصالحين مستعملا لفظة "لله" درّ" تعجباً من عملهم ومدحًا لهم وهذه العبارة هي نتيجة لحجج جاءت بعدها متمثلة في ذكر أعمالهم:

---

[1]– ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 273.272

- بادروا الأوقات.
- استدركوا الهفوات.
- شغلوا العيون بالدموع عن النّظر إلى المحرّمات.
- سجنوا الألسن في سجن الصّمت عن موارد الهفوات.
- كف الأكف عن تناول الشّهوات.
- قيّدوا الأقدام إلاّ على السّعي إلى الطّاعات.

هي الحجج التي تم الرّبط بينها بالرابط الحجاجي "الواو" تقود إلى نتيجة واحدة انفرادهم بالاستغفار وطلب التوبة أو تفانيهم في أعمالهم التي تقربهم من خالقهم.

ثم يسترسل ابن الجوزي بتوظيفه الشرط في قوله: "إن غشيهم الله" "ضجّوا بالأصوات في الخلوات" وهي حجة للمستغفرين على استغفارهم وخوفهم من خالقهم ومناجاتهم له، وقوله: "وإن أقبل النّهار" "قطعوه بمقاطعة اللّذات" وهي حجة ثانية على استمرارية طلب المغفرة والتعبير عن التوبة النصوح، فهنا نجد علاقة الاقتضاء قد وظفت بشكل أعطى قوة حجاجية تدعم قوة الحجج الأولى التي قدمت.

كما لمسنا استعماله لأبيات شعرية ضمنها أسلوب التعجب الذي غرضه التأثير في عواطف السامعين وحملهم على الخوف، كما نجده يشبه الحياة بالظّل الزّائل، فهو يصوّرها الصورة التي تأكد زوالها، فهو يدرك أهمية التشبيه المفهوم لدى العامة، ليختم موعظته بذكر قدرات الخالق وحلمه وعفوه على العبد، فإنّ تدرّج الحجج بين الترهيب والترغيب ثم الرجوع إلى الترهيب أي التنقل بين هذين الأسلوبين يجعل مشاعر المتلقي تنتظر الأمر من الإمام لأنهم يتزاوجون بين الخوف والرغبة. وهنا تظهر قوة الحجة التي دأب الإمام ابن الجوزي على توظيفها في مواعظه.

في هذا البحث حول السلميات الحجاجية في فن المواعظ لابن الجوزي –رحمه الله– نلاحظ أنّ أهم شيء يقوم عليه الموضوع هو تقديم الأطروحات التي تدعو العقول البشرية إلى الاتعاظ والتفكير والتذّكر وخشية الله سبحانه وتعالى، والاستعداد للآخرة.

وقد اتضح ذلك من خلال النماذج التي بسّطناها من مواعظ ابن الجوزي –رحمه الله– والتي تهدف أساسا للتّذكير بأوامر الله –عز وجل– والترهيب من المعاصي والترغيب في الجنة وحسن الخاتمة.

وأهم النتائج التي رجحت اختيارنا للسلالم الحجاجية في فن الوعظ

– أنّ الدراسات اللّسانية التداولية عالجت الحجج كظاهرة لسانية داخل الخطاب، ولا يمكن دراستها دون إبراز مراتب المخاطبين وأدوارهم داخل الخطاب، بالإضافة إلى الوقوف عند الروابط الحجاجية باعتبارها آليات لغوية وأدوات لسانية، ثم تحليل السلالم الحجاجية داخل الأقوال والحجج المقدمة لتوجيه الدّراسة وجهة حجاجية معينة.

– تكمن أهمية الحجاج فيما يولده من إقناع لدى المتلقي، الذي لا يتأتى له إلاّ باستعمال اللغة مما يِكد أنّ نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة أننا نتكلم عامة بقصد التأثير وأن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج، وأنّ المعنى ذو طبيعة حجاجية.

– تأكد فرضية السلمية الحجاجية للغة الطبيعية، ولاسيما لغة الوعظ.

– محاولة اختبار نظرية الحجاج على المواعظ، وذلك سعيا منا إلى التماس أصول الحجاج وتبيين أساليبه اللغوية، من خلال لغة الخطاب الوعظي، والتي تحمل في مفرداتها الكثير من الروابط الحجاجية والأساليب البلاغية الإقناعية، والتي منحت نظرية الحجاج في الخطاب الوعظي طابعاً لغوياً خاصاً.

إن الحجاج في فن الوعظ منطوي على جملة من المبادئ الحجاجية تشكل في مجملها أهم أصول العقيدة الإسلامية، والقضايا التي عالجها القرآن والسنّة وأهم الأحداث التي ثبتت عن السّلف وعن الشعراء والت تعد قاسماً فكرياً بين النّاس، من خلال تبصرتهم بطرائق النجاح والإصلاح كل هذا جاء في منهج حجاجي خاليا من العنف والإكراه.

قامت المواعظ عند ابن الجوزي على منهج حجاجي يكمن إجمالاً في:

1-الاحتجاج للموعظة بما ورد مورد في القرآن الكريم بذكر آيات أو أجزاء منها باعتباره يوظف المنهج الحجاجي خاصة في القصص القرآنية.

2-الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف من خلال إيراد قصص عن النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم- وثبت عنه من أقوال وأفعال في حوادث مثل حكاية حميد وزوجته العاصية.

3-إيراد قصص الأنبياء، والسلف والصالحين وتضمينها حجج وروابط حجاجية تخدم الموعظة وتضمن إذعان المتلقي وتسليمه بما جاء فيها.

4-إيراد أساليب عامة في الحجاج في مواضيع يشترك فيها عموم النّاس مثل: الغفلة عن طاعة عن طاعة الله والاستقامة في أداء الفرائض والسّنن وذلك من خلال استعمال الحجج المنطقية من القرآن والسنة، مثل موعظة "يا مكرماً بحلية الإيمان" الواردة في متن الدّراسة.

5-إيراد أساليب خاصة في الحجاج في مواضيع تخص فئة معينة من المؤمنين مثل: "حكاية النيسبوري" الذي أراد أن ينجز عملا للجارية فهذه الحكاية لا تعبّر عن عامة النّاس وإنّما هي خاصة ببعضهم ممن استحكم الشيطان على أفكارهم في مسألة السّحر.

– فالحجاج إذًا يرتبط بالخطاب الطبيعي حيث يجمع بين الصورة والمضمون، فهو يحدد مجموعة من الأقوال التي تستهدف بيان حقيقة ما، أو إقناع المخاطب أو إنشاء معرفة، فيما نجد البرهان يستند فقط إلى الصورية التي تبعده عن المضمون، وتجعله خاضعاً لقواعد الاستدلال المنطقي الذي يسعى إلى إثبات الصّحة المنطقية للقضية محل البرهنة.

كما نجد أن ربط الصورة بالمضمون في الحجاج يسمح لنا بأن نفهم من القول أموراً مغايرة لتلك التي تلفظت الذات المتكلمة أو قصدتها ويعود هذا بالأساس إلى تعدد مستويات الخطاب الطبيعي:

– المنطوق: ويتعلق بما يصرح به المتكلم بواسطة الدلالات الحقيقية للكلمات.

– المقتضى: ويهم مجموعة المعلومات المتعارف عليها بين المتخاطبين التي لا تحتاج إلى تذكير أو توضيح.

– المفهوم: ويرتبط بما يستنتجه المخَاطَبُ خارج الدلالة الحقيقية للكلمات .

إنّ اعتماد الحجاج على مقومات تداولية تبرز تميزه عن البرهان والمناظرة، ويترتب عن هذا أنّ الحجاج يتمتع بالخصائص التالية:

1-القوة: هناك علاقة قوية بين التراتب الحجاجي والقوة، حيث تمتلك كل حجة قوة قد تزيد أو تنقص على قوة حجة أخرى. بمعنى أن العلاقات الحجاجية تكون متفاوتة في قوتها الحجاجية وكذا قوة الرابط الحجاجي، ومن ثمّة فالعلاقات الحجاجية تتصف بالقصدية التي تستند إلى مجموعة من الاستراتيجيات التي تسعى إلى غاية واحدة.

2- التوجيه الحجاجي: ترتكز العلاقة على ما نسميه "التوجيه" الذي يقوم بتحديد تسلسل القضايا، وفيه ينتمي الملفوظ إلى الفئة الحجاجية نفسها ويسعى إلى تحقيق غرض معين.

وعليه فإن القيمة الحجاجية لملفوظ ما لا تنحصر في المعلومات التي ينقلها بل تتوقف أيضا على التوجيه الحجاجي للملفوظ الذي ينتهي بالمخاطَبِ إلى قصد محدد فالعلاقات الحجاجية تتميز بقصدية التحاجج.

ومن هنا يمكننا الفصل في كون فن الوعظ هو خطاب حجاجي لأنّه يهدف إلى إقناع المتلقي وحمله على الإذعان بضرورة التّذكر في أوامر ومناهي الله تعالى فهو يقدم الحجج بمستويات وسلميات مختلفة فهو خطاب يهدف إلى توجيه انظار المؤمنين إلى حقائق ثابتة بالنصوص القرآنية والنّصوص السّنية.

والسلمية الحجاجية في مواعظ ابن الجوزي قد انبتت على أسس متينة من أحكام وأحداث سواء كان ذلك في نظمها وتراكيبها و تراتبيتها: أم في صحة مقدمتها ونتائجها. وبعد مراميها في معالجة أمراض القلوب من التهاون في أداء واجبات الطاعة وذكر الرّحمان، وكذا توجيه سلوك الأفراد إلى ما فيه صلاح لهم ومنهم إصلاح المجتمعات، والأمة الإسلامية ليس هذا فحسب بل حمل الغير ممن يعتنقون ديانات أخرى على اعتناق الإسلام وهو ما صرّح به الإمام ابن الجوزي رحمه الله حين قال: "كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلّدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني".

وفي الأخير لا يمكننا أن نجزم بإحاطتنا بكل الموضوع لأنّه موضوع فيه الكثير من الجدة ناهيك عن تشعبه، بل كانت منّا المحاولة الجادة في أن نلمس البعض من الجوانب المهمة في دراسة السلميات الحجاجية عند ابن الجوزي من خلال مدونته المجالس والمواعظ. وقد تبادرت إلى أذهاننا أن نترك الآليات الأخرى إلى أبحاث أشمل أن تكون قادرة بالإحاطة بكل الآليات الحجاجية في فن الوعظ عند ابن الجوزي.

فهرس المصادر و المراجع

➢ القرآن الكريم

برواية حفص عن عاصم، دار الجيل(سوريا)، ط2،1995.

➢ مدونة البحث

جمال الدين أبو الفرج محمد بن الجوزي، المواعظ و المجالس، حققه و علق عليه: محمد إبراهيم سنبل دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر،ط1990،1.

➢ أولا: المصادر

1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ،العمدة في الطبع، الدار البيضاء ، المملكة المغربية،ط1 2006.

2- الحسن بن القاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

3- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، المفصل في صنعة الأعراب، تح: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993.

4- جمال الدين أبو الفرج محمد بن الجوزي، القصاص و المذكرين ، قدم له وحققه و علق عليه و أعد فهارسه: محمد بن لطفي الصباغ ، المكتب الاسلامي، بيروت، ط1، 1983

5- جمال الدين أبو الفرج محمد بن الجوزي ، المدهش، تح: مروان قباني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 2005.

6- جمال الدين أبو الفرج محمد بن الجوزي ، بستان الواعظين و رياض السامعين ، تح: السيد الجميلي ، دار الريان للتراث، الجيزة، مصر، 1353هـ.

7- حافظ اسماعيل العلوي ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، دار ورد الأردنية ، ط1، 2011،

8- حسن درويش القويسني ، شرح العلامة القويسني على متن السلم للأخضري، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب.

9- حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديث، ط1، 2010.

10- حمادي صمود ،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، من أرسطو إلى اليوم، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس.

11- زايد أحمد محمد، علم الوعظ تأصيله وفقهه عند الامام ابن الجوزي، جامعة الأزهر، القاهرة، 2010.

12- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،2011.

13- سليمان الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي 1980.

14- صابر الحباشة ، التداولية و الحجاج ، مداخل و نصوص ،صفحات للدراسات و النشر دمشق، سوريا.

15- طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة المعارف الجديدة الرباط ،المغرب، 1994.

16- طه عبد الرحمان ، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط، 2005.

17- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي الاسلامي ، المغرب ، ط 1 1998

18- طه عبد الله محمد السبعاوي ، أساليب الإقناع في المنظور الاسلامي ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

19- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز ، تح : محمد التنجي ، دار الكتاب العربي، ط 1 1995.

20- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط المغرب، ط1، 2013.

21- عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية دار الفرابي،لبنان،ط1، 2001.

22- عبد الهادي ظافر الشهري ، استراتيجياته الخطاب ،مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان،ط1، 2004.

23- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس ط1، 2011.

24- محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا، دار إفريقيا الشرق، المغرب 2002، ط 2.
25- محمد طروس ،النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة المغرب، ط1، 2005.
26- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.
27- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

➢ ثانيا: المراجع

28- أبو حامد محمد الغزالي ، احياء علوم الدين ،دار المعرفة، بيروت ، ط1.
29- أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، دار النشر الاسلامي، ط1، 2000.
30- أحمد دعدوش ، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام ،دار ناشري للنشر الالكتروني.
31 - أحمد كروم ، الاستدلال في معاني الحروف ، دراسة في اللغة و الأصول ، دار الكتب العلمية بيروت، 2009 ، ط1.
32- إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة،
33- الشريف الجرجاني، التعريفات، ضبطه و حققه مجموعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983،
34- القاضي عياض، شرح الشفاء، شرحه : الملا على الفاري الهروي الحذفي، ضبطه وصححه: عبد الله محمد خليلي، دار الكتب، بيروت، لبنان.
35- بدر الدين أبو عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: حمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، حلب، 1958،
36- برهان الدين البقاعي ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، تح: محمد عبد الحميد، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، مصر.
37- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تح: إبراهيم محمد أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1974.

38- حمد الصالح العثمنين ، شرح الاربعين النووية ، دار الثرية للنشر و التوزيع ، الرياض، ط3 2004

39- حمد ناصر العمار ، آيات الدعوة في القرآن الكريم، دار كنور اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض السعودية،ط2004،1.

40- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3 ، 1993

41- علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة، مص، ط1، 1989.

42- عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة الغانجي، مصر، ط7، 1998، ج1.

43- كامل كيلاني، الوعظ القصصي، دار الكتاب، بيروت، لبنان، 2001.

44- كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، عالم الكتب الحديث، مراكش، المغرب، 2013

45- محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1995، ج2

46- محمد رشيد علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1990.

47- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، قصر الكتاب للنشر، البليدة الجزائر، ج1، ط5 1990.

48- محمد عبد السلام خضر،كتاب السنن و المبتدعات المتعلقة بالأذكار و الصلوات ،دار الكتب العلمية ، 1994.

49- محمد ناصر الألباني، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، مكتبة المعارف، الرياض ط01، 2005/1425.

50- محمد العمري، البلاغة العربية (أصولها وامتداداتها)، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999

51- مصباح عامر ، الإقناع الاجتماعي، خلفياته النظرية، آلياته الاجتماعية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، ط1 2006 .

52- ناصر الدين بن محمد الشيرازي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)،تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1، 1418هـ.

➢ **ثالثا: المراجع المترجمة**

53- فيليب بروتون وجيل جوتي، ، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح نادي الغامدي، مركز النشر العلمي،ط2011،01.

54- بروطون فيليب، الحجاج في التواصل، تر: محمد ميشال، عبد الواحد التهامي العلمى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013.

➢ **رابعا: المعاجم**

55- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مصر، ج1.

56- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان

57- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، الجزء 8.

58- اسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، ط4، 1990.

59- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتاب العالمية، بيروت، لبنان. مج1.

➢ **خامسا: المجلات و الدوريات**

60- مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب في سوريا، عدد2005،407

61- مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني،الكويت، عدد3، 2000.

➢ **سادسا: الرسائل و البحوث**

62- أمحمد عرابي، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور عبد الخالق رشيد، جامعة السانية، وهران، 2009 .

63- دحمان حياة، تجليات الحجاج في القرآن الكريم (سورة يوسف)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

64- مجاهد محمود أحمد ناصر ، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل و الحجة، إشراف : محمد سميح الخالدي، جامعة نابلس فلسطين، 2003 .

65- نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائرة لابن الأثير ، مذكرة مقدمة لرسالة الماجستير، إشراف الدكتور عمر بالخير، جامعة تيزي وزو، 2012.
66- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه و خصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي) ، إشراف الدكتور جمال كديك، جامعة ورقلة،2003.
67- هشام فروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي (دراسة في وسائل الاقناع)، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ لخضر بالخير، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2009.
68- فايزة بوصلاح، الاقناع في قصة ابراهيم عليه السلام (مقاربة تداولية)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران، 2010 .

- **سابعا: المواقع الإلكترونية**

69- http:// www.ahlalloghah.com/assollam.pdf

فهرس الموضوعات

السلميات الحجاجية في كتاب المواعظ و المجالس لابن الجوزي

مقدمة .....**أ– د**

مدخل :التعريف بالمدونة 12-19

I– سيرة الإمام الواعظ ابن الجوزي.....**12–17**

1- نسبه.....12

2- نشأته.....12

3- شيوخه.....13

4- مكانته العلمية و مصنفاته.....13

5- نبوغه في فن الوعظ.....15

6- شعر ابن الجوزي.....16

7- وفاته..... 17

II- التعريف بالمواعظ و المجالس.....18

الفصل الأول: الحجاج و المواعظ.....21-68

I– الحجاج تاريخه و نظرياته **21**

1- ماهية الحجاج 21

أ- الحجاج لغة 21

ب- المفهوم الاصطلاحي 23

2- الحجاج عند الأمم القديمة 27

أ- الحجاج عند السفسطائيين.....27

ب- الحجاج عند أفلاطون.....27

ج- الحجاج عند أرسطو.....28

3- الممارسات الحجاجية عند العرب القدماء.....29

4- التنظير الحجاجي في الدراسات العربية القديمة 32

أ- عند الجاحظ.....32

ب- الحجاج عند أبي اسحاق بن وهب 33

ج- الحجاج عند أبي الوليد الباجي.....35

5- الحجاج عند المحدثين 36
أ- عند الغرب المحدثين 36
*- نظرية الحجاج عند برلمان.....36
*- الحجاج عند أوزفالد ديكرو و جون انسكومبر.....37
*-الحجاج عند ميشال مايير.....38
*- الحجاج عند تولمن 38
ب- عند العرب المحدثين 39
II- ماهية علم الوعظ و مبادئه 40
1- تعريف علم الوعظ.....41
أ- الوعظ لغة 41
ب- الوعظ اصطلاحا 42
2- مبادئ علم الوعظ.....43
3- أغراض المواعظ و أهميتها 44
III- خصائص الخطاب الحجاجي الوعظي.....47
1- خاصية الدينامية النفسية و الاستمالة العاطفية 48
2- خاصية التفاعل و التجاوب.....54
3- خاصية المقاصد و الغايات.....56
4- الوعظ عند ابن الجوزي و خصائصه.....57
أ- القرآن الكريم 58
ب- الحديث النبوي الشريف.....59
ج- القصص.....59
د- الشعر 60
IV- استعمالية الحجة في المواعظ 61
1- تعريف الحجة 61
2- خصائص الحجة في فن المواعظ 63
أ- خاصية الترتيب و التدرج.....63

ب- خاصية صحة الحجة و فسادها 65
3- أنواع الحجة في المواعظ 66
أ- الحجة البرهانية 67
ب- الحجة الجدلية 67
ج- الحجة الخطابية 67
د- الحجة الشعرية 68
هـ- الحجة المغالطة 69
الفصل الثاني:السلميات الحجاجية في مواعظ ابن الجوزي 71-128
I- ماهية السلم الحجاجي 71
1- استقصاء مفهوم السلم الحجاجي عند العرب 71
أ- السلم عند اللغويين 71
ب- السلم الحجاجي عند الناطقة 73
ج- الالسلم عند المفسرين.....74
د- السلم عند البلاغيين 75
هـ- السلم عند الأصوليين 77
و- السلم عند علماء الحديث.....78
2- السلم الحجاجي عند الغرب المحدثين 78
أ- مفهوم النظرية الحجاجية 78
ب- تعريف السلم الحجاجي 80
3- مستويات السلم الحجاجي 82
أ- سلمية المعجم.....82
ب- سلمية الصرف.....84
ج- سلمية النظام البلاغي.....86
4- قوانين السلم الحجاجي 88
أ- قانون الخفض.....89
ب- قانون تبديل السلم 89

ج- قانون القلب 90
II- آليات السلالم الحجاجية في مواعظ ابن الجوزي.....92
1- الروابط الحجاجية 92
أ- مفهوم الرابط الحجاجي 92
ب- المتغيرات الحجاجية للرابط الحجاجي.....95
ج- نماذج الروابط الحجاجية في مدونة المواعظ و المجالس97
- الرابط الحجاجي "حتى".....97
- الرابط الحجاجي "الواو".....104
- الرابط الحجاجي "لكن".....107
2- السمات الدلالية 110
3- التكرار 114
III- العلاقات الحجاجية 117
1- العلاقات الحجاجية خارج الخطاب الوعظي 117
أ- الخطاب الحجاجي و المخاطب 117
ب- الخطاب الحجاجي و المتلقي 119
ج- الخطاب الحجاجي و المقام 120
2- العلاقات الحجاجية داخل الخطاب الوعظي 121
أ- علاقة التتالي و التتابع.....121
ب- علاقة السبب بالمسبب.....122
ت- علاقة الاقتضاء.....124
خاتمة 130-133
فهرس المصادر و المراجع 135-140